أدبيات
نبع الآداب والثقافة المعاصرة

سيكولوجية الفخر

Looloo
www.dvd4arab.com

يوسف ميخائيل أسعد

المقدمة

من الواضح أن من الأهمية بمكان تناول موضوع الفكر بالدراسة والتأمل . صحيح أن الكثير من الناس ينظرون إلى الفكر باعتباره شيئًا واضحًا بذاته ، وليس بحاجة إلى دراسة . ولكن المتأمل لمفهومه يجد أنه بعيد الغور ، شأنه شأن الكثير من الظواهر النفسية التى تبدو واضحة بذاتها . ولكن ما إن يأخذ المرء فى تأملها وسَبْر أغوارها ؛ حتى يجد أنها عميقة كل العمق ، إن لم تكن غامضة كل الغموض .

من هنا كان التفاتنا إلى هذا الموضوع الخطير الذى يعتبر ركيزة أساسية من ركائز علم النفس ، الأمر الذى يحتم توجيه الاهتمام إليه ، وتأمله من جميع جوانبه ، وفى ضوء جميع العلاقات القائمة بينه وبين الأجهزة والوظائف النفسية المتباينة ، ذلك أننا نستطيع أن نقرر أن تفهم « الفكر » والوقوف على حقيقته ، يعتبر مفتاحًا أساسيًا من مفاتيح الدراسة السيكولوجية الجادة .

ومن الطبيعى أن يكون الكثير من علماء النفس قد تعرَّضوا لهذا الموضوع ، بل إن الكثير من الفلاسفة قد تناولوه أيضًا ، سواء بشكل مباشر ، أم بشكل غير مباشر . ولكن مهما كانت الكتابات التى دُوِّنت ونشرت فى هذا الموضوع كثيرة ، فإن مَعِينه لا ينضُب . فمهما كتب فيه المؤلفون ، فإن كل واحد منهم لابد أن يتناول جانبًا ويهتم به أكثر من اهتمامه بباقى الجوانب الأخرى . ناهيك عن طريقة المعالجة التى تتباين من مؤلف إلى مؤلف آخر .

والواقع أن المتناولين لهذا الموضوع ولما يشبهه من موضوعات سيكولوجية ، إما أن ينهجوا وفق المنهج البحثى ، وإما أن ينهجوا وفق

Looloo
www.dvd4arab.com

المنهج الخبرى التأملى . ولا شك أنه لا غنى عن هذين المنهجين بصدد النشاط التأليفى فى علم النفس . ولعلنا نزعم بحق أن المنهج الأخير يتيح الفرصة أمام الكاتب ؛ لكى يقدّم مناحىً جديدة فى الموضوع الذى يتناوله بالكتابة الإبداعية التى يعبّر من خلالها عن جماع خبراته التى تأتت له نتيجة التفاعلات الخبرية التى حصل عليها بعد اختمار ما سبق له قراءته والاطلاع عليه .

وليس من شك فى أن هذا المنهج الخبرى الذى اتبعناه فى هذا الموضوع وفى غيره من موضوعات مؤلّفة ، يتيح الفرصة أمام كل من يتّبعه بأن يُدلى بدلوه فيه بغير تكرار ؛ ذلك أن التفاعلات الخبرية التى تتأتى للكاتب ، تختلف عن التفاعلات الخبرية التى تتأتى لأى كاتب آخر يعرض للموضوع نفسه .

ولقد بدأنا بمعنى التفكير من حيث علاقته بالممارسات التجريبية التى يمكن أن تتواكب معه ، ثم عرضنا بعد ذلك لأهمية الفكر ثم لمعوّقاته . وبعد ذلك عرضنا لعلاقة الفكر بكل من الإدراك والذاكرة والخيال والذكاء والوجدان ، ثم تناولنا علاقته بالتقليد والمهارات الحركية والتراث والإبداع والإمكانات والحضارة ، وعلاقته أخيرًا بالتربية .

ولسنا نزعم أننا قد غطّينا الموضوع من جميع جوانبه ، بل نؤكد أنه موضوع خصب يتسنى لكل من يرغب فى طرقه ، سواء أكان قارئًا أم كاتبًا ، أن يجد متسعًا فيه . وهل من موضوع أهم وأخصب من موضوع الفكر ؟

يولية ١٩٩٦ يوسف ميخائيل أسعد

الفصل الأول
معنى الفكر

المعنى القَبْلى :

نقصد بالمعنى القَبْلى أن الفكر يأتى قبل التطبيق أو الأداء ؛ ذلك أن هناك قطبين أساسيين فى النشاط الإنسانى هما : قطب الفكر وما قد يتواكب معه من عاطفة أو انفعال ، وقطب التعبير عن ذلك الفكر فى هيئة نشاط أدائى موضوعى . والفكر قد يسبق الأداء ، وقد يأتى بعده ، وقد يحدث معه فى وقت واحد . ونحن هنا سوف نصب كلامنا على الفكر القَبْلى الذى يسبق الأداء ، وفى الموضوعين التاليين سوف نعرض للمعنى البَعْدى ، ثم للمعنى الآنى على التوالى .

والواقع أن المعنى القبلى هو المعنى الذى يتبادر إلى الذهن عندما نعرض لمعنى الفكر . ولعلنا نقوم باستعراض جوانب الفكر التى تسبق الأداء على النحو التالى :

أولًا ـ الإدراك Perception : فأنا عندما أعتزم استخدام التليفون ، فإنى أراه أولًا ، وتكون رؤيتى له عبارة عن إدراك بصرى . وعندما أقوم باستخدام الأزرار لطلب الرقم الذى أبغى الاتصال به ؛ فإنى أتحسس تلك الأزرار قبل أن أبدأ فى الضغط عليها ، ويكون تحسسى لها عبارة عن إدراك لمسى . وعندما يخبرنى صديقى الذى طلبته برسالة معينة أو بما يجب تسجيله على الورق ؛ فإنى أسمع صوته قبل تناولى للقلم والورق ، ويكون سماعى لصوته إدراكًا سمعيًّا . وعندما

Looloo
www.dvd4arab.com

أشم رائحة الغاز المتسرب من موقد البوتاجاز ، فإنى أسار بالتوجه إلى المطبخ ، وأقوم بإحكام غلق الأنبوبة التى يتسرب منها الغاز ، ويكون الإدراك الشمى فى هذه الحالة سابقًا على توجُّهى إلى المطبخ وغلق الأنبوبة . وعندما أجلس إلى المائدة لتناول الطعام وأذوق الحساء فأجده ماسخًا ؛ فإنى أضيف إليه بعض الملح ، وبذا فإن ذوقى يكون سابقًا على ما أقوم بإضافته من ملح إلى الحساء . وهكذا نجد أن حواسى الخمس التى تشكل الأساس فى جميع العمليات الإدراكية ، التى تسبق ما أقوم بعمله . وبتعبير آخر فإن الإدراك بأنواعه الخمسة يسبق التطبيق . فيكون الفكر فى جميع تلك الأنوا الخمسة من الإدراك هو تفكير قبْلى ، أى أنه يكون سابقًا على النشاط الأدائى .

ثانيًا ـ التذكر Memory : من المعروف أن جانبًا من المدركات المتباينة التى عرضنا لها قبلًا يختزن فى مخزن عقلى الذى يعرف بالذاكرة . صحيح أن الكثير مما ندركه لا يختزن فى الذاكرة ، كما أن بعض ما يختزن بها يتسرب منها وينمحى ، كما أن بعضه الآخر يدخل فى نطاق اللاشعور مع ما يصاحبه من عواطف أو انفعالات ، فيتشكل عندئذ ما يسمى بالمكبوتات اللاشعورية أو العقد النفسية . ولكن مع هذا فإن ما يُختزن بالذاكرة لا يستهان به ، بل إنه يشكل أدوات توظيفية فى حياتنا . فنحن نعتمد على ما سبق لنا تخزينه فى الذاكرة ونستخدمه فى أنشطتنا العملية المتباينة . والواقع أن الذاكرة تساند الإدراك لدرجة أن من المتعذر على المرء أن يدرك الشىء ويستوعب معناه إلا إذا كانت لديه بطانة تذكرية يستند اليها فى إدراكه . فما سبق تخزينه بالذاكرة ونستخدمه هو ما يسمى بالتعرف **Recognition** . ولكن لا يعنى هذا أن التعرف يُغْنى عن الإدراك . فلكأن التعرف يُشكل الأساس الذى تنبنى عليه المدركات الجديدة ، فما

قلناه بإزاء التليفون والطعام والغاز المتسرب ، يكون الإدراك مرتكزًا بإزائه على قوائم تذكرية أو تَعَرُّفية . وبتعبير آخر فإن ما نقوم به من أنشطة فى هذه الحالات يكون تلْويًا ، أى أنه يأتى بعد أن تكون الذاكرة قد لعبت دورها بمساندة الإدراك . ومعنى هذا أن الفكر المتمثل فى الذاكرة سابق على الأداء . أى تطبيق الفكر فى الواقع العملى .

ثالثًا ـ التخيل Imagination : تقوم المخيلة بتشكيل صور ذهنية تستمد مقوّماتها من الصور الذهنية الإدراكية والصور الذهنية التذكرية جميعًا . بيد أن المخيلة لا تتوقف عند حدود التجميع والتشكيل لتلك الصور ، بل إنها تقوم أيضًا بعمليات تفاعلية تتأتى عنها مركّبات ذهنية تخيلية شبيهة بالمركبات الكيميائية التى تشتمل على خصائص جديدة لا تتوافر للعناصر أو المركبات التى دخلت فى عملية التفاعل الكيميائى . فالماء باعتباره مركّبًا يختلف فى خصائصه عن خصائص كل من الأكسجين والأيدروجين . ولكن المرء المتخيل لا يتوقف فى العادة عند حدود النطاق الداخلى التخيُّلى ، بل يقوم غالبًا بترجمة تلك الصور الذهنية التخيُّلية إلى واقع موضوعى . فالمكتشفات والمخترعات كانت قبل تجسيدها فى الواقع المحسوس عبارة عن صور ذهنية تخيلية تأتّت للمكتشفين أو للمخترعين فى أذهانهم . ومعنى هذا أن الفكر قد سبق التطبيق لديهم فكان بذلك فكرًا قبْليًا .

رابعًا ـ الفكر التجريدى التعميمى Conception : وهذا الفكر هو الذى يُعْرف بالمفاهيم أو التصورات الذهنية المجردة . وهذا النو من الفكر يختص به الإنسان دون سائر الكائنات الحية . فنحن ندرك أشجارًا كثيرة ورجالًا ونساءً كثيرين ، ولكننا نجمع جميع الأشجار التى كانت ، والكائنة الآن ، والتى سوف توجد فى المستقبل ، ونقول « أشجار » ، وكذا الحال بالنسبة للرجال والنساء ، فنقول « رجال »

Looloo
www.dvd4arab.com

ونقول « نساء » . فالشجرة والرجل والمرأة ألفاظ تتصف بالتجريد من الواقع المحسوس ، كما أنها تتصف بالتعميم الذى يتحرر من حدود المكان والزمان على السواء . والواقع أن الفلسفة والعلم والأدب والفن إنما هى جميعًا ترجمة محسوسة لمفاهيم مجرّدة ومعمّمة نقوم بإدراكها مجسّدة فى كتب أو فى كلام مسموع أو فى ألحان موسيقية أو فى رسوم تخطيطية أو ذات ألوان أو فى غير ذلك من صيغ فنية فى حالة الفن . والواقع أن جميع تلك الصور التجريدية التعميمية التى ترتسم فى ذهن الفيلسوف أو العالم أو الأديب أو الفنان تكون سابقة على التعبير عنها فى شكل أو آخر من صور التعبير المناسبة لها . وبتعبير آخر فإن ما يدور بخلّد كل منهم ، يكون فكرًا مشمولًا بالمشاعر الوجدانية قبل أن يجد ذلك الفكر لديه طريقه إلى التنفيذ الأدائى . فيكون الفكر لدى كل منهم فكرًا قَبْلِيًّا .

خامسًا ــ التخطيط المستقبلى Futurist Planning : فالواقع أن الإنسان يختص بالقدرة على توقع المستقبل . ولكن كلما تقدم المرء فى معارج التقدم والرقى ؛ فإن قدرته التوقعية أو التنبؤية تكون أقوى وأدق . ولقد بزغ حديثًا فرع جديد من فروع العلم يسمى المستقبلية **Futurism** يتسنى بوساطته تحديد معالم المستقبل بدرجة كبيرة من الدقة . بيد أن هذا العلم الجديد لا يقول بالجَبْرية ، بل يؤمن بأن الوقوف على توقُّعات المستقبل لا يعنى الخضوع للقَدَر المحتوم ، بل إن فى قدرة الإنسان أن يلْوى عنق الأحداث التى يحملها ذلك المستقبل ، وأن يطوّعها لمصلحته . فمثلًا بالنسبة للتفجر السكانى فى بلد ما مثل مصر ، فإن المخططين المستخدمين للمستقبلية يقومون بتحديد عدد السكان المتوقّع بلوغه فى بداية القرن الحادى والعشرين . ولكن إذا توافرت الإمكانات والإرادة الماضية والتكاتف الشعبى بين المواطنين ،

وآمن معظمهم بأن الحد من عدد السكان ، يحمل معه فائدة عظيمة للأجيال المعاصرة وللأجيال القادمة ، فإن العدد المتوقع يمكن أن يُقلّص إلى حد بعيد ، وبالتالى فإن البلاد لا تتعرض للمجاعات والأوبئة والتخلف الاقتصادى والثقافى والحضارى . فالوقوف على المستقبل من جهة ، والتخطيط لذلك المستقبل المتوقع بما يناسبه من إجراءات من جهة أخرى ، يسبقان الإجراءات التى يمكن أن تتخذ لتطويعه لفائدة الجميع . وبتعبير آخر فإن التصورات المستقبلية تسبق الإجراءات . فالفكر هنا يسبق التطبيق .

المعنى البَعْدى :

المقصود بالفكر البعدى أن النشاط الذهنى للمرء يأتى بعد ملاحظة الواقع ، أو بتعبير أدق فإن الفكر يكون انبثاقًا من الواقع المطَّبق . ولعلنا نلاحظ هذا النو من الفكر البعدى فى النواحى التالية :

أولاً ــ التجارب العلمية : فعلى الرغم من أن الممارس للتجريب فى المعمل ، تكون قد اعتملت فى ذهنه بعض الفروض المُسبَقة ، فإنه لا يكون قد بيَّت النتائج وحددها قبل إقدامه على ممارسة التجريب ، فهو لا يضع أمامه فرضًا واحدًا ، بل يضع نصب عينه مجموعة من الفروض . وحتى إذا هو وضع فى ذهنه فرضًا واحدًا ؛ فإنه يكون أمام خيارين : الأول ــ صحة الفرض الذى افترضه ، والثانى ــ بطلان ذلك الفرض الذى افترضه . فأمامه إذن خياران وليس خيارًا واحدًا . ومعنى هذا أن الكفة الراجحة تكون لما تجلّى عنه التجربة أو التجارب العلمية التى يضطلع بها . فهو يسير وراء النتائج التى تُفْصح عنها تلك التجارب . وبتعبير آخر فإن ما يضعه المجرب فى ذهنه قبل إجراء التجربة يكون بمثابة مُسْودة مبدئية . أما ما تُفْصح عنه التجربة وتَبين عنه ؛ فإنه يكون بمثابة الخلاصة التى يعتمد عليها ، وتكون لها

Looloo
www.dvd4arab.com

الكلمة الحاسمة فى الموقف التجريبى ، ولكن العالم غالبًا ما يكرر تجاربه ويعدّل فى المقومات التى تتضمنها ، حتى يَخلُص إلى ما يكون حاسمًا بمعنى الكلمة . المهم أن تلك الخلاصات التى يصل إليها المجرّب تكون فكرًا بَعْديًا ، أى بعد إجراء التجارب . فالفكر يتلو التطبيق ، أعنى تطبيق الأفكار المُسْبَقة التى تعتبر مسودّات مبدئية كما قلنا .

ثانيًا ـ المكتشفات الأرضية والكونية : فمنذ قديم الزمان والإنسان يرغب فى التعرف على الواقع المحيط به ، سواء أكان واقعًا قريبًا أم واقعًا بعيدًا . وكلما ضرب فى طريق التقدم مستفيدًا بما استطا سَبْرُه من آفاق الوجود ؛ فإنه يحاول سَبْر آفاق أبعد وأدق . ولقد استطا الإنسان اكتشاف الوجود بطريقة أفقية ، قبل أن يتسنى له اكتشافه بطريقة رأسية ، ونعنى بالطريقة الأفقية ما يبدو أمامه بغير استعانة بالآلات الدقيقة كالميكرسكوبات الإلكترونية . أما الطريقة الرأسية فيستعان فيها بتلك الآلات الدقيقة . فاستطا الإنسان أن يقف بها على مكوّنات الخلية ، وعلى مكوّنات الذرّة ، وكلما وُفّق إلى أحد مكتشفاته ؛ فإنه يقوم بتسجيل النتائج ويستفيد فى الوقت نفسه مما سبق له تحصيله . وهكذا نجد أن الفكر التطبيقى يأتى بعد الممارسات ، وإن كان المكتشف يعتمد على خلفيته العلمية التى تُمكّنه من وَصْل السابق من المكتشفات باللاّحق منها .

ثالثًا ـ استخدام الإحصاءات : فالإنسان منذ بواكير حضاراته وهو يستخدم الأعداد . ومن الطبيعى أن استخدامه للأعداد قد تطور من البسيط إلى المعقد إلى أن تبلور لديه استخدامها والتمرس بها بفنون الإحصاء المتباينة . والإحصاء وما سبقه من محاولات عددية متباينة ،

وما تواكب مع الأعداد من رموز جبرية ومن رسوم هندسية ، كان ولا يزال يأتى بعد الواقع الممارس أو المُطبّق . ولكن تلك الإحصاءات لا تُستهدف لذاتها ، بل تعتبر بمثابة أدوات عقلانية تستخدم لتعديل الواقع الممارس بالفعل فى الحاضر ، وما سوف يمارس بإزائه فى المستقبل . فالفكر الإحصائى هو فكر بَعْدى أى أنه يأتى بعد التطبيق على الواقع العملى .

رابعًا ـ تقييم وسائل التأثير : فمنذ أن فتّح الإنسان عينيه على الوجود من حوله وهو يتأثر ويؤثر . وكلما كان يبتد وسيلة للتأثير ، فإنه كان يقوم بتقييمها والتطور بها حتى يتسنى له أن يحصل بوساطتها على نتائج أفضل . فكانت الممارسة العملية هى التى تحتل الصدارة فى نشاطه ، ثم يتلوها جَنْى الثمار الخيْرية التى يحرزها نتيجة التطبيق . بيد أن الخلفيات الخيْرية التى كان يحصل عليها ، كانت تتفاعل مع المواقف العملية التى كان يمارسها ، بل إن العقبات التى كانت تعترض طريقه فى اكتشاف الوسائل الجديدة التى يؤثر بها ، كانت تُهزم فى كثير من المواقف بفضل ما تهيأ به من خبرات اكتسبها من مواقفه السابقة.

خامسًا ـ الوقاية والعلاج من الأمراض : استطا الإنسان عن طريق المحاولة الخطأ أن يكتشف الوسائل والعقاقير التى تقيه من شرور الأمراض التى يمكن أن تفتك به وبذويه وحيواناته وطيوره الأليفة ومزروعاته . وكلما اكتشف الإنسان عقارًا أو أداة تساعده على ذبّ الأمراض أو العلاج منها ، فإنه يسَجّل خبراته أو يتناقلها الناس بعضهم عن بعض عبْر الأجيال المتتالية . والأساس فى التطبيب هو الممارسة التى يستفاد فيها بما سبق أن اكتسبته الأجيال السابقة من خبرات . ولكن الواقع أن الممارسة التى يمكن ردها إلى الغريزة قد

Looloo
www.dvd4arab.com

سبقت الفكر العلاجى . ولكن بعد تكدس الخبرات بالكتب والمراجع ، وبعد تعقيد الأدوات والآلات المستخدمة فى الكشف على المرضى وفى إجراء الجراحات المتباينة ، رجحت كفة القبلية على كفة البعدية ، أى أن الطبيب لابد أن يكون مجهزًا بالفكر الطبى العلاجى قبل إقدامه على الممارسة العلاجية . ولكن بالنسبة للجديد المستحدث فى مجالات الطب المختلفة ، فإن الممارسة بالتجريب تسبق النظرية . وبتعبير آخر فإن النظرية لا تصير معتمدة إلا بعد التطبيق والتأكد من صلاحية وجدوى الوسائل المستخدمة فى العلاج . وشاهد ذلك ما نشاهده اليوم من تجارب مستمرة بإزاء مرضى الإيدز . فالتجريب مستمر إلى أن يتبلور العلاج الناجع . وعندئذ تتم بلورته فى هيئة وسائل مدونة ومسجلة ومعترف بها فى المحافل الطبية .

وعلينا أن نقرر أن مسألة البعدية والقبلية بإزاء الفكر التطبيقى مسألة نسبية . فكما قلنا فإن الشخص المقبل على إجراء إحدى التجارب فى مجال ما من المجالات الخمسة التى عرضنا لها قبلا ، لا يكون خالى الوفاض من الفكر . فالذى يفعل ذلك لا يستطيع أن يحصل على أى خبرة مما يمارسه . فحتى أكثر الناس بدائية ، يحملون فى أذهانهم فكرًا مبدئيًا قبل إقدامهم على التطبيقات الواقعية . ولكن ما يحمله المرء فى ذهنه من فكر قبل إقدامه على الواقع بالتجريب أو بالكشف أو بغير ذلك من ممارسات ، إنما يكون فكرًا تمهيديًا ، ولا يكون فكرًا مقطوعًا به أو حاسمًا ، وإلا فإنه يكون متحيزًا ولا يستطيع أن يصل إلى شىء جديد ، بل يدور فى حلقة مُفْرَغة . فالفكر المبدئى الذى يحمله المرء قبل إقدامه على الواقع التطبيقى ، إنما هو فكر اقتراحى أو فرضى . أما الفكر الذى يحدث نتيجة تفاعل الفروض أو المقترحات الذهنية التى يحملها المرء فى قوامه الذهنى مع الواقع الذى

يمارسه ؛ فإنه الفكر البعدى الذى نقول : إنه يأتى متبلورًا بعد ممارسة الواقع العملى والتفاعل معه .

المعنى الآنى :

نقصد بالمعنى الآنى موازاة الفكر للأداء ، فلا يكون أحدهما سابقًا على الآخر ، بل يحدثان فى وقت واحد . ولعلنا نقوم بتقديم الحالات التى يتبدى فيها هذا المعنى الآنى على النحو التالى :

أولًا ـ ممارسة المهارات العقلية : فالكاتب الذى يمسك بالقلم ويُكِف على الورق يسجل عليه أفكاره أو مشاعره أو ما يخطر بباله من أفكار ، إنما يكون مزاوجًا بين فكره وبين مهارته المتعلقة باستخدام القلم فى الكتابة . وما يقال عن الكاتب الذى يستخدم القلم فى التعبير عن خلجاته ، ينسحب بالقدر نفسه من الصدق بإزاء الكاتب الذى يستخدم الآلة الكاتبة أو الكومبيوتر فيما يقوم بتدبيجه من أفكار ، معبِّرًا عنها بما اكتسبه من مهارة تتعلق بالكتابة عليهما . والشىء نفسه يصدق بإزاء اكتساب المرء لفن القيادة . فهو يزاوج فيما بين المهارة التى اكتسبها بإزاء قيادة السيارة ، وبين إدراكه للطريق وما يعُج به من أشخاص وسيارات . فهو يمارس المهارة القيادية ويدرك الأشياء التى توجد أمامه وخلف سيارته وحولها فى وقت واحد دون أن تكون القيادة أو الإدراك متباعدين بعضهما عن بعض فى الزمان ، بمعنى أن أيًا منهما لا يسبق الآخر ، بل يتزامنان ويقعان معًا فى وقت واحد . وبتعبير آخر فإن الفكر والتطبيق يتطابقان فى نشاطه القيادى من حيث وقت الحدوث .

ثانيًا ـ ممارسة المهارة الوجدانية : وهذا النو من المهارة يتبدى لدى الأشخاص الذين يتمكّنون من استخدام قدرتهم الانفعالية فى التأثير

Looloo
www.dvd4arab.com

فى الآخرين . فالممثل القدير يشحن نفسه بالوجدانات والانفعالات التى تتطلبها الأدوار الدرامية التى يقدمها لجمهور المشاهدين أو جمهور المستمعين . فهو يقوم بتوظيف عواطفه التوظيف المناسب للدور ، ولا يعبر عن ذاتيته الشخصية ، بل يعبّر عن ذاتية الشخص الذى يمثل دوره ، وبتعبير آخر فإنه ينسلخ عن ذاتيته الحقيقية ، ويتلبس بذاتية الشخص الذى ينوب عنه فى القيام بدوره كما رسمه المؤلف فى الرواية التى يشترك فى تمثيلها . والتوظيف الذى يضطلع به الممثل هو التطبيق الآنى لما يعتمل فى جنباته من وجدان وانفعال . والواقع أن الممثل يفشل إذا هو لم ينجح فى المطابقة فيما بين أحاسيسه التى يعبر عنها فى الدور الذى يمثله ، وبين تقديم تلك الأحاسيس . فإذا هو انفعل قبل اللحظة الدرامية المناسبة ، أو إذا هو أجّل انفعاله بعد مرور تلك اللحظة ، فإنه يكون عندئذ قد فشل فى تقديم دوره التمثيلى . ومن الطبيعى أن المشاعر الوجدانية لا تُساق فى استقلال عن فكر الممثل ، بل إن الفكر يكون هو الحامل لتلك المشاعر الوجدانية ، وبذا فإننا نستطيع أن نقول : إن الفكر الذى يحمل الوجدان والانفعال هو سيد الموقف . فلابد من أن يتطابق الفكر لدى الفنان مع توظيفه له فى الموقف الدرامى من حيث وقت تقديمه أمام جمهور المشاهدين أو المستمعين .

ثالثًا ـ ممارسة المهارة العلائقية : فالعلاقات التى تقوم بين الناس بعضهم وبعض ، سواء كانت علاقة بين شخصين أو أكثر ، إنما تكون قائمة على أساسين لا يفترقان ، بل يتمّان فى الآن نفسه . فالحب الذى ينشأ بين شاب وشابة ، يعتمد على ما يجمع بينهما من فكر مفعم بالوجدان من جهة ، وعلى معايشة مواقف أو مصالح مشتركة بينهما فى الحاضر أو فى المستقبل من جهة أخرى . وحتى بالنسبة للمصالح

المتعلقة بالمستقبل ، فإنها تتراءى أمامهما باعتبارها واقعًا ذهنيًّا آنيًا . فهما يحيلان المستقبل إلى حاضر ذهنى . وبالتالى فإن ثمة تطابقًا يحدث لديهما فيما بين الفكر المفعم بالعواطف ، وبين التطبيق المتمثل فى دعم العلاقات القائمة بينهما . والشىء نفسه ينسحب بإزاء المجموعات التى تلتئم حول قضية واحدة أو حول محور واحد ، فتكون الأفكار والعواطف الجمعية متزامنة مع الروابط المتمثلة فى التصرفات والمواقف وفى التلاحم القلبى الذى يجمع بين أفراده .

رابعًا ـ ممارسة المهارة الإبداعية : على الرغم من أن الكثير من الكُتّاب يعتبرون الإبداع طفرة غير متدرجة تحدث فى قوام المبدع ، فإن الواقع أن الإبداع يعتمد على التمكُّن من مجموعة من الممارسات التى تعتبر خلفية يقوم عليها الإبداع . فالممارسة من جهة ، والإلهامات الإبداعية من جهة أخرى ، تتزامنان بحيث لا نستطيع أن نزعم بأن الإبداع يسبق التعبير عنه ، أو أن التطبيق يأتى أولًا ثم يتلوه الفكر الإبداعى ، بل نقول : إن المبدع ينجح فى المطابقة فيما بين فكره الإبداعى وبين الممارسة الإبداعية ذاتها . فلكأن هناك تفاعلًا فيما بين الفكر عند المبدع وبين المجال الذى يبدع فيه ، فيتأتى عن ذلك التفاعل ثمرة إبداعية لا هى فكر بحت ولا هى تطبيق بحت ، بل هى ذلك التطابق فيما بين الفكر الإبداعى وبين الممارسة أو التطبيق الإبداعى .

خامسًا ـ ممارسة المهارة التخطيطية : فالواقع أن الإنسان هو الكائن الذى يستطيع أن يستطلع المستقبل ، وأن يقف على ملامحه كما يتوقع لها أن تكون عليه ، ومن ثم فإنه يخطط لذلك المستقبل وَفْق

Looloo
www.dvd4arab.com

الصيغ التى يرجوها لـه . فهو يزامن فيما بين المستقبل كما يَتوقع حدوثه قبل أى تدخل من جانبه ، وبين المستقبل بعد أن يصوغه فى القوالب التى يرجوها له . وتلك القوالب هى ما يعرف بالتخطيط . فالتخطيط للمستقبل لا يكون منفصلًا من حيث الزمان عما يُتوقع له أن يكون عليه ، بل يحدث معه فى تطابق زمانى دقيق . وكلما كان التخطيط متزامنًا مع التوقع أو التنبؤ بما سوف يكون عليه المستقبل ، فإنه يكون تخطيطًا دقيقًا . ولعلنا نزعم أن التخطيط المنحرف عن الواقع المستقبلى المتوقع ، إنما يكون تخطيطًا غير واقعى أو مستحيلاً على التنفيذ . ولكن مطابقة الفكر التوقعى مع التخطيط المستقبلى ، هو الكفيل بنجاح المخطط فى مهمته التخطيطية .

★ ★ ★

الفصل الثانى
أهمية الفكر

الأهمية العقلية :

من الخطأ أن نتناول الفكر باعتباره مجرد انعكاس للواقع المحيط بالمرء ، أو أنه مجرد تجميع لما يستقبله من الواقع الخارجى من مدركات عن طريق الحواس الخمس . فواقع الأمر أن الفكر عبارة عن تيار ذهنى مستمر ، بل إنه سلسلة من التفاعلات الذهنية المستمرة بين ما سبق تفاعله وتراكبه من مدركات وذكريات وأخيلة ومفاهيم ، وبين الجديد الذى يستقبله المرء من الواقع الخارجى . ومعنى هذا أن الفكر عبارة عن عمليات دينامية ، أى أنه عمليات انبثاقية ، تتأتى نتيجة الاستمرار فى التفاعلات الذهنية التى لا تتوقف ، سواء على مستوى الشعور أم على مستوى اللاشعور .

وعلينا أن نقوم فيما يلى باستعراض الأهمية العقلية للفكر ، فنحدد تلك الأهمية على النحو التالى :

أولاً ـ استمرار الارتباط بالواقع الخارجى : فلولا الفكر بما يشتمل عليه من عمليات دينامية ، لما كان للمرء إذن أن يظل مرتبطًا بالواقع الخارجى . فنحن بالفكر نظل متفاعلين مع ما سبق أن تلقيناه من خبرات من الواقع الخارجى المحيط بنا ، سواء أكان واقعًا محسوسًا ، أم كان واقعًا رمزيًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثانيًا ــ الاحتفاظ بالهوية الشخصية : من المعروف أن المرء لا يستطيع أن يحتفظ بهويته الشخصية إلا إذا كان متمتعًا بالفكر السديد . فمن الملاحظ أن بعض الأمراض العقلية التى تصيب المخ بالتلف ، تؤدى إلى فقدان المريض عقليًا ما كان يحوزه من هوية شخصية مباينة للهويات الشخصية الخاصة بالأشخاص الآخرين ، فلا يعرف من هو ، ولا يميز نفسه من أى من الكائنات المحيطة به .

ثالثًا ــ استمرار النمو الخبرى : فصاحب العقل السليم لا يتوقف فى نموه الخبرى عند نقطة معينة ، بل يظل ينمو عقليًا بشكل دائب ، لا عن طريق إضافة خبرات جديدة إلى خبراته السابقة ، بل بتفاعل الخبرات الجديدة التى يتلقاها من الواقع الخارجى ، مع ما سبق أن حازه من مركب خبرى .

الأهمية الوجدانية :

من الأخطاء الشائعة الاعتقاد أن من الممكن عزل الفكر عن الوجدان . فالواقع أن أكثر الناس عقلانية ، يمارسون نشاطهم العقلانى اعتمادًا من جانبهم على ما تأتى لهم من خلفية وجدانية . فلولا حب عالم الرياضيات لمجال اهتمامه ، وهو الذى لا همَّ له سوى العكوف على الإحصاءات والأرقام والرسوم البيانية فيما يمارسه من أنشطة ذهنية رياضية ، ما كانت لديه القدرة إذن على ممارسة ذلك النشاط . ولعلنا نذكر ما قال به مكدوجال من أن الشعور يتضمن ثلاثة أضلا هى : ضلع العقل ، وضلع الوجدان ، وضلع النزو .

ولعلنا فيما يلى نستعرض أهمية الفكر بالنسبة لحياة المرء الوجدانية ، فنجد أن هذه الأهمية تتضمن ما يلى :

أولًا ــ تكامل الشخصية : فالواقع أن الشخصية لا يمكن أن تتمتع بالتكامل إلا إذا تكامل لديها ما ذكره مكدوجال عن الأضلا الثلاثة للشعور . فكلما كانت الرابطة فيما بين هذه الأضلا الثلاثة قوية ، كان التكامل بالتالى قويًا ، وكانت الشخصية متمتعة بالتالى بمستوى مرموق من الصحة النفسية .

ثانيًا ــ عدم التعرض للإصابة بالأمراض النفسية : فطالما أن تكامل الشخصية متوافر بفضل تكامل وتآزر هذه الأضلا الثلاثة للشعور ، فإن المرء لا يكون معرّضًا إذن للإصابة بأى من الأمراض النفسية التى تنجم عن طغيان ضلع من هذه الأضلا الثلاثة على الضلعين الآخرين .

ثالثًا ــ عدم التعرض للانهيار العصبى والنَّهْكة : فمن الحقائق التى يجب ألا تعزب عن البال ، أن الوجدان بمثابة الوقود الذى ينبثق عن القوام البيولوجى للمرء . فكما أن الغاز الطبيعى ينبثق من باطن الأرض ، كذلك ينبثق الوجدان من القوام البيولوجى للمرء . وكما أن ذلك الغاز يشكل طاقة يمكن استخدامها فى الأغراض المتباينة ، كذا فإن الوجدان هو الطاقة النفسية التى إذا تعرضت للنضوب ؛ فإن النشاط الذى دأب المرء على النهوض به يفتر . وإذا أجبر على مزاولة النشاط ، فإنه يتعرض عندئذ للانهيار العصبى أو للنَّهْكة أى الشعور بالتعب الشديد .

الأهمية الاجتماعية :

مما لاشك فيه أن الأفراد والجماعات يتصلون فيما بينهم عن طريق الفكر . فلولا الاتساق الفكرى الذى يتمتع به البشر ، ما كانت تقوم بينهم إذن أى روابط اجتماعية . فالمقولة المشهورة : إن الإنسان

Looloo
www.dvd4arab.com

مدنى بالطبع ، ما كان لها أن تصح لولا تمتع الناس بسياق فكرى متشابه من حيث خطوطه العريضة . فنحن وإن كنا نتباين بعضنا عن بعض ، سواء كأفراد أم جماعات ، فإن ذلك التباين لا يمس الخطوط العريضة التى تجمعنا جميعًا تحت سقف واحد ، هو سقف الفكر البشرى الذى يعمل بطريقة واحدة . فالتمايزات التى تتبدى بين الأفراد بعضهم عن بعض ، أو بين الجماعات بعضها عن بعض ، لا تمس جوهر الفكر الإنسانى ، ابتداء من أشد القبائل بدائية حتى أكثر الشعوب رقيًا وتقدمًا وتحضرًا . فالخطوط الفكرية العريضة واحدة لدى جميع الآدميين . وأكثر من هذا فإننا نزعم أن الحيوانات العليا تحظى أيضًا بقسط ولو ضئيل مما يتمتع به الإنسان من فكر بعيد الغور ومتعدد الجوانب .

ولعلنا فيما يلى نقوم بتقديم ما يختص به الفكر من أهمية بإزاء علاقة الفرد بالمجتمع ، وبإزاء علاقة المجتمعات بعضها ببعض على النحو التالى :

أولًا ـ نمو الحضارة البشرية : فلولا تمتع الإنسان بالفكر ، ما كان قد توصل إلى ما توصل إليه من مستوى حضارى مرموق . والواقع أن الحضارة البشرية قد شكلت بيئة حضارية تتميز بشكل جوهرى من البيئة الطبيعية ، بل إننا نستطيع أن نقرر أن الإنسان فى ظل الحضارة يتعامل مع بيئته الحضارية أكثر بكثير من تعامله مع البيئة الطبيعية . فنحن نصاغ وتتبلور شخصياتنا بفضل تأثير البيئة الحضارية فى قوامنا الجسمى والنفسى والاجتماعى على السواء .

ثانيًا ـ التعاون والتنافس : فلولا الفكر الذى يعتمل لدى الفرد والجماعة ،ما كان هناك تنافس أو تعاون .والواقع أنه بفضل هذين القطبين يتقدم الفرد وتتقدم الجماعة بخطى حثيثة إلى الأمام . ومن الخطأ أن يظن

البعض أن التعاون يتعارض مع التنافس ، أو يعمل على إلغاء تأثيره فى تقدم المرء أو الجماعة . والصحيح أن يقال : إن هذين العاملين يتكاملان فى حياة المرء وفى حياة الجماعة . فالتعاون مع بعض الناس ، والتنافس مع بعضهم الآخر ، هو الكفيل بإحراز التقدم فى مسيرة الشخص وفى مسيرة الجماعة على السواء .

ثالثًا ـ التمييز بين المفيد والضار : فلولا تمتع المرء بالفكر . ما كان له إذن أن يميز فيما بين ما يفيده وما يضره ، سواء فى الحاضر أو فى المستقبل . وأكثر من هذا فإن المرء يعمد إلى تقييم ماضيه حتى يستبين العوامل التى أفادته ، والعوامل التى أضرت به وبذويه ، فيجعل من ذلك التقييم أدوات مفيدة فى تسيير حياته فى حاضره ومستقبله جميعًا .

الأهمية الحضارية :

فمنذ أن فتح الإنسان عينيه على الوجود من حوله ، وهو دائب على التأثر به والتأثير فيه . وقد نجم عن التفاعل المستمر بين الجماعات البشرية وبين الوجود المحيط بها من جهة ، وعن تفاعل الجماعات البشرية مع تراثها وتراث الجماعات الأخرى ، بل وتراث الإنسانية بشكل عام من جهة ثالثة .. نقول : إنه قد نجم عن هذه الأنواع الثلاثة من التفاعلات ، بزوغ الحضارة البشرية ؛ نتيجة الانخراط فى العمليات التفاعلية المستمرة والدائبة والعميقة .

وكلما بلغت الحضارة مستوى معينًا من التقدم ، فإن الناس يحسون بالحماس والطموح لبلوغ مستوى أرفع من المستوى الحضارى الذى بلغوه . وشاهد ذلك ما نراه من تقدم تكنولوجى يعتمد على التقدم العلمى المذهل . فالتقدم العلمى والتكنولوجى ينهج وفق متتالية هندسية

Looloo
www.dvd4arab.com

تضاعفية . وسواء أكان هذا التقدم الحضارى إيجابيًا بابتكار أشياء وعلاقات جديدة ، أم كان تقدمًا سلبيًا يصبو إلى حل المشكلات الناجمة عن عوامل حضارية كالتفجر السكانى الذى كان نتيجة لتطورات حضارية متباينة من أهمها التقدم فى مجال الطب ، بما صار لديه من إمكانات وقائية وعلاجية كثيرة ، فانخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال والناس عمومًا فى جميع مراحل العمر حتى الشيخوخة ، مما عمل على زيادة معدلات طول العمر بالنسبة لجميع الشعوب تقريبًا .

ولعلنا نقوم فيما يلى بتحديد بعض النقاط التى تتعلق بالأهمية الحضارية للفكر على النحو التالى :

أولًا ـ التخفف من عوامل الشقاء : فالتقدم الحضارى فى جوهره عامل أساسى من عوامل نشر ألوية السعادة بين الناس ، والتخفيف بقدر المستطا من عوامل الشقاء المتمثلة فى الفقر والظلم والاستبداد ، والارتفا بمستوى المعيشة بالنسبة لمعظم المجموعات البشرية . وعلى الرغم من أن ثمة عوامل مناهضة كثيرة تعترض طريق الحضارة ، فإنها فى النهاية تشد أزر الجميع للالتزام بالعقل وعدم الاندفا وراء الروح الهمجية التى ترنو إلى سحب المجتمعات البشرية إلى عهود البداوة ، والقضاء على جميع المعالم الحضارية والرقى .

ثانيًا ـ إشاعة القيم الدينية والخلقية النبيلة : والواقع أن الحضارة باستهدائها بالفكر ؛ فإنها تعترف بأن القيم الدينية والخلقية النبيلة ، تعمل على الارتفا بمستوى الإنسان النفسى والعلائقى . فالدين والأخلاق يهتمان بترغيب الناس فى الخير وتبغيض الشر إلى قلوبهم من جهة ، كما يهتمان بمراعاة المناسب من الأقوال والتصرفات من جهة ثانية ، والتمسك بالجميل والنأى عن القبيح فى المظهر وفى كل ما يصدر عن المرء من قول أو عمل من جهة ثالثة .

ثالثًا ـ القضاء على الأمراض والوقاية منها : فالفكر لدى علماء الطب والباحثين البكتريولوجيين يهتم بالقضاء على أسباب الأمراض المختلفة ، سواء أكانت أمراضًا مُعْدية كالإيدز ، أم غير معدية كالسرطان . ومما لاشك فيه أن الحضارة لا تكون قد أدت رسالتها على الوجه الأكمل ، إلا إذا هى استعانت بفكر المبدعين فى مجال الصحة الجسمية والصحة العقلية على السواء ، حتى تتحقق السعادة وتعم جميع الأرجاء .

الأهمية الاقتصادية :

من الحقائق التى لا تحتاج إلى حجج تساندها ، أن الاقتصاد لم يعد يمارس بطريقة ارتجالية ، بل صار خاضعًا لمجموعة كبيرة من العلوم التى تتشابك معه وتتفاعل . وهكذا نجد أن الكليات التى تختص بالاقتصاد وتحمل مسئولية تعليمه للناشئة ، قد صارت تحتل مكانة مهمة فى المجتمعات البشرية المتقدمة .

فالفكر الاقتصادى صار يلعب دورًا أساسيًا فى حياتنا ، وهو الفكر الذى لا يكتفى بالواقع الراهن ، بل يمتد ببصيرته إلى المستقبل . وأكثر من هذا فإن هذا الفكر لا ينكفئ على الخبرات المحلية ويكتفى بها ، بل يتفاعل مع خبرات الآخرين القريبين والبعيدين على السواء ، بل إنه يعمد إلى التلاحم مع الآخرين فى المشروعات الاقتصادية الكبرى . ولقد صار هناك اقتصاد عالمى يؤثر ويتأثر باقتصاد جميع الدول ، صغيرها وكبيرها ، غنيها وفقيرها . وكلما اشتد الاحتكاك بين الدول المختلفة ، أحس الجميع بضرورة اللجوء إلى الفكر الاقتصادى يستهدون به فى علاج المشكلات الاقتصادية الراهنة ، وفى التخطيط للمستقبل الاقتصادى المحلى والعالمى على السواء .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثالث
معوّقات الفكر

معوّقات فلسفية :

من الحقائق التى يجب ألا تعزب عن البال ، أن الفلسفة اليونانية ومن قبلها ما يسمى بالنحلة الأورفية Orphism (القرن السادس ق م) ، استمرت فى التأثير فى الفكر على مستوى الأقطار التى اهتمت بهذه الفلسفة ونقلت عنها . فهذه النحلة ومن بعدها سقراط وأفلاطون بصفة خاصة ، نادوا بالزهد فى المصادر الإدراكية ، أعنى الواقع المحسوس . فالنحلة الأورفية كانت تومن بالتأمل وبتناسخ الأرواح ، فيكون الشخص المولود حاملاً الخبرات التى كانت فى حوزة الشخص الذى انتقلت روحه إلى المولود الجديد . وبتعبير آخر فإن الخبرات التى يتلقاها المرء من عالم الأرواح ، أكثر وأرقى بكثير من الخبرات التى يستفيدها من الواقع الخارجى المحسوس .

أما سقراط (نحو ٤٧٠ ـ ٢٩٩ ق م) فإنه لم يهتم شخصيًا بتحصيل المعرفة من الواقع الخارجى ، بل كان يعتمد على ما تلهمه به الروح التى كانت تقطن بداخله كما اعتقد . فهو كان فى غنى عن اكتساب الخبرات من الواقع الخارجى ، بل كان يكفيه ما يتلقاه من حكمة علْوية أو غيبية . وكان شعاره الذى يبشر به الناس من حوله هو « اعرف نفسك » . فلكأن من عرف نفسه واستبطنها ، فقد عرف جواهر المعرفة . أما المعرفة المستفادة من الواقع الخارجى فهى غُثاء ووهم .

أما أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق م) فقد قال إن الواقع المحسوس من حولنا ، ما هو سوى شبح للواقع الحقيقى . فلقد كان الإنسان مع الآلهة حيث الواقع الحقيقى . وعندما غضبت عليه ، فإنه سقط إلى هذا العالم الذى يشبهه أفلاطون بالجُبّ . فمن يقع فى الجُبّ يرى ظلال الأشياء على جدرانه ، ولكنه لا يرى الأشياء ذاتها . فما نراه حولنا من محسوسات ، إنما هو أشباح للواقع الحقيقى الموجود فى عالم غير هذا العالم ، هو عالم المُثُل . من هنا فإن من يريد أن يقف على المعرفة الحقيقية ، فعليه بالتأمل والغوص بدخيلته ، فعندئذ يرى ويسمع الموجود بذلك العالم .

من هنا فإن الفلسفة اليونانية التى غزت عالمنا العربى والعالم الغربى وتربّعت على العقول والأفئدة ، قد عملت على إقامة حائط سميك بين الفكر وبين الواقع المادى المحسوس . فانتشرت عقيدة احتقار الاتصال بالعالم الواقعى ، والهروب إلى الكتب وما تتضمنه من تأملات وفكر بحت واستشفاف للحقيقة التى تعلو عن مستوى الماديات .

من هنا فإن الناس انقسموا بتأثير الفلسفة اليونانية وما ضرب فى إثرها من فلسفات إلى فريقين : فريق المفكرين التجريديين الذين يفكرون بعقولهم دون مساس بالواقع الخارجى المحسوس ، وفريق غير المفكرين الذين يتعاملون مباشرة مع الواقع الخارجى المحسوس . وهذه الفئة الثانية هى الفئة التى شبهها أفلاطون بالبطن وما تحت البطْن ، وهى تضم العمال الفلاحين . أما المفكرون عند أفلاطون ، فإنهم يشبهون الرأس المفكرة والمدبرة لشئون الجسد بأسره . ولقد عمل توزيع الناس إلى فريقين ، على عزل المصدر الرئيسى للفكر ـ أعنى الحواس الخمس وما تستمده من محسوسات من الواقع الخارجى

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم تستحيل إلى مدركات ذهنية ـ عن النشاط الذهنى الذاتى الاجترارى ، فصار المفكرون ـ إذا جاز التعبير ـ يجترُّون أفكارهم المجردة والمعممة ، بغير أن يُعملوا أيديهم بالتجريب فى المحسوسات ، ودون ملاحظة الوقائع الخارجية التى تحيط بهم ، وهى الوقائع التى تُشكِّل الخطوة الأولى فى النشاط الذهنى .

معوِّقات تراثية :

بينما تُشكِّل الفلسفة اليونانية العائق الأول الذى يحول دون استثمار النشاط الذهنى الاستثمار السليم ، فإن هناك عائقًا آخر تآزر مع العائق الأول وتفاعل معه هو التراث . ولفظ « التراث » يضم فى أنحائه كل ما هو موروث . فالدين والسحر والأدب والعلم وما أتى عليه التقادم ، وما لا تزال له قيمة ، وما هو نسبى ، وما هو مطلق من الأفكار والمبادئ والقيم ، تدخل جميعًا فى نطاق التراث . ومعنى هذا أن التراث يضم الصالح و الطالح ، والمفيد والضار ، وما يجب الحفاظ عليه ، وما يجب ركنه على الأرفف وعدم الأخذ به ، إما لأنه ردىء فى ذاته ، وإما لأنه لم يَعُد يصلح للمرحلة التطورية التى بلغتها حضارتنا . ولكن للأسف فإن بعض الناس يعتقدون أن ما تلقيناه عن الأسلاف على جانب كبير من القيمة ، بل إنه كلما كان التراث أكثر قدمًا ، فإنه يكون بالتالى أكثر قيمة . والمتحمسون للتراث يعتقدون أن القديم أفضل من الجديد . ومن ثمّ فيجب التخلص من كل المستجدّات التى أدخلناها ، أو أدخلها غيرنا فى حياتنا . ولقد ربط بعضهم بين الاستعمار وبين الثقافة التى وردت مع المستعمر . فهى ثقافة رديئة لأن الاستعمارى ردىء ، فالحملة الفرنسية التى كشفت أسرار اللغة الهيروغليفية وحملت معها إلينا الكثير من سمات الحضارة الغربية رديئة هى والثقافة التى حملتها إلينا . والخليق بنا أن نميز بين

المستعمر وبين ثقافته . فكراهيتنا للاستعمار يجب أن يقابلها حب من جانبنا للثقافة التى نقلناها عنه .

ونحن لا نحمل كراهية للتراث ، بل نطالب بالنظرة الانتقائية إليه . فيجب ألا نُسلِّم بكل ما يتضمنه من مقومات ، بل يجب أن نتناوله كوسيلة ضمن الوسائل الأخرى التى نستعين بها . وكلما كان التراث مفيدًا فى الربط بيننا وبين الواقع المحسوس المحيط بنا ؛ فإنه يكون بالتالى أكثر فائدة ، وأكثر قابلية للارتقاء بمستوى الفكر .

معوِّقات إيديولوجية :

ومن المعوِّقات التى تحول دون تقدم الفكر فى مسيرته على المستوى القومى وعلى المستوى العالمى ، شيوع إيديولوجيات أى معتقدات مناهضة لحرية التفكير . فالواقع أن الفكر لا ينمو إلا فى جو من الحرية . ومن المعروف أن الفكر مناظر أو مرادف للشك فديكارت يقول « أنا أفكر فأنا موجود » ، أو « أنا أشك فأنا موجود » . والشك مباين للوسوسة . فالموسوس يشاهد أمامه خيارين أو أكثر ويتذبذب باستمرار بين خيار وآخر ولا يصل إلى أى خيار يأخذ به ، بل يظل على هذه الحال باستمرار . أما الشّاك فإنه يشاهد خيارين أو أكثر ، فيجيل فكره ، ثم يقع على خيار واحد ويستقر عليه . فالفكر أو الشك هو القدرة على الوقوع على خيار من بين الخيارات المطروحة أمام ذهن المرء .

والنظام الاجتماعى أو السياسى الذى يحْرم الناس من حرية الاختيار ، بل يحتم عليهم الأخذ بإيديولوجية واحدة تفرض عليهم جميعًا بغير استثناء ، إنما هو نظام اجتماعى أو سياسى يقف عائقًا أمام الحرية الفكرية . بيد أننا نستدرك فنقول إن ما ننادى به من

Looloo
www.dvd4arab.com

خيارات لا يشمل كل شيء بغير استثناء . فثمة مسائل لا يجوز ترك حرية الاختيار بإزائها . من ذلك مثلاً مسألة تعاطى المخدرات . فلا يجوز أن تترك الحرية للمواطن فيتعاطى المخدرات أو لا يتعاطاها ، بل يجب أن يلزم بعدم استخدام المخدرات أو حيازتها . وثمة مسائل كثيرة يجب على المسئولين بالمجتمع تحديد القوالب السلوكية التى يجب أن يلتزم بها الناس فى ذلك المجتمع . ولكن ما ننبه إليه هو ضرورة توفير حرية الاختيار بإزاء المسائل وألوان السلوك التى يمكن توفير حرية الاختيار بإزائها فلا تمس كيان الفرد أو المجتمع .

معوقات تربوية :

ومن المعوّقات التى تقف حائلاً دون نمو الفكر ، تلك القوالب السلوكية العقلية والوجدانية والإرادية التى تجهز للناشئة ؛ لكى يصبُّوا فيها شخصياتهم . فإذا ما خرج أى منهم عن حدودها ، فإن سلوكه يُصادر ، بل وتوقّع عليه العقوبات . فثمة نظرة تقديسية ينظر بها معظم المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومعلمات إلى تلك القوالب السلوكية .

فثمة ما يعرف بالمناهج الدراسية المتجسدة فى هيئة كتب مقررة . فطالما تقرر المنهج وطبع الكتاب الوزارى ووزع على التلاميذ والمدرسين ؛ فإن الجميع يكونون ملتزمين به التزامًا حرفيًا .. أما الكتب والمراجع الخارجية أيا كانت ، فلا يعترف بها ، بل إن من يجتلب معلومات منها لم ترد بالكتاب المقرر . فإنه يكون قد أخطأ أو على الأقل لا يكافأ ولا ينال تقديرًا من المعلمين والموجّهين .

ومعنى هذا أن المعلمين والموجهين أنفسهم يصادرون فكرهم المستقل والمتحرر ؛ لأنهم لا يشاركون فى تجهيز المعلومات التى تقدم

إلى تلاميذهم . والمنطق يقول : إن من الواجب إلغاء الكتاب الوزارى وإطلاق العنان للكتب الخارجية التى يتسابق المعلمون والموجهون فى تأليفها . ولا مانع من أن يعالج الموضوع الواحد المتّفق عليه فيما يسمى بالمناهج المعتمدة ، بأقلام متباينة دون رقيب مركزى ، بل بإشراف المناطق التعليمية المتباينة ، والتى تشكّل كل منها وحدة نابضة بالحياة .

وأكثر من هذا فإن من الواجب أن يعتمد التلاميذ والطلاب على مكتبة المدرسة وعلى المكتبات العامة ، وأن يتغير النظام المدرسى اليومى بحيث تحظى المكتبة المدرسية بنصيب الأسد من اليوم الدراسى ، فيكون أمام الناشئة فرصة الاختيار من بين المراجع المختلفة . ناهيك عن إطلاق العنان أمامهم للمساهمة بالكلمة المكتوبة التى يختار من بينها ما ينشر بمجلة المدرسة المطبوعة أو بمجلتها السبورية .

المهم هو توفير فرص الاختيار أمام المعلمين والموجهين والطلاب والتلاميذ بجميع المراحل التعليمية . ذلك أنه بغير توفير الخيارات واستثمار قدرة الناشئة على تقييم المتوافر أمامهم من مصادر المعرفة ، لا تكون ثمة فرصة ملائمة لنمو الفكر وتفريخ ثمار فكرية نتيجة ذلك النمو .

معوّقات روتينية :

من المعوّقات التى تحول دون نمو الفكر ، سيطرة الروتين على التفكير . والروتين عبارة عن عادة اجتماعية يُتفق عليها ويلتزم بها الموظفون فى أداء الأعمال المتباينة . والواقع أن كلمة « روتين » تعنى « النظام الذى يتوخاه المرء فى أداء العمل » فالروتين فى

Looloo
www.dvd4arab.com

جهات العمل ، مناظر للعادات الشخصية بالنسبة للفرد .. والسؤال هو : هل من الممكن الاستغناء عن العادات الشخصية من جهة ، وعن الروتين من جهة أخرى ؟ الواقع أن هذا من المستحيلات . فالعادات الشخصية والروتين الذى يلتزم به العاملون فى أداء العمل ، يحمل فى طياته فوائد كثيرة ، سواء للعمل نفسه أم للعاملين . ولكن سيطرة الروتين على أذهان العاملين أو تمكنه منهم ؛ بحيث يستحيل إلى قيد يعوق القدرة على الاختيار بإزاء المسائل التى لا تدخل فى نطاق الروتين ؛ فإنها تعتبر من الكوارث الفكرية التى تحول دون الإفادة منه .

فثمة فرق بين موظف يلتزم بالروتين ، ولكنه يترك طابعه الشخصى على عمله بما يبتكره بفكره ، وبسيطرته على الروتين وتطويعه نتيجة تمكنه منه ، وبين موظف يجعل من نفسه عبدًا للروتين ، فلا يفكر ولا يتطور بمسئولياته الوظيفية إلى مراق جديدة .. فالواقع أن الروتين هو حصيلة الابتكارات العقلية التى اضطلع بها موظفون سابقون مبدعون ، فأخذها عنهم غيرهم وساروا فى هديهم . فالخليق بالموظف المبدع أن يعمل على تخصيب الروتين ، وذلك بعمل تفاعلات فيما بينه وبين الظروف والمواقف الجديدة وبما لديه من معرفة وخبرة ، فتتأتى عن ذلك ثمار روتينية جديدة تعمل على الارتقاء بالعمل ، وعلى سرعة الإنجاز والارتفاع بمستوى الإتقان .

ولا يتأتى هذا إلا إذا توافرت الفرص أمام العاملين ومنحهم الكثير من الحرية فى تسيير أعمالهم ، وإدخال ما يرونه مناسبًا من التعديلات على الروتين . وبتعبير آخر فإن العقيدة الحالية التى تمكنت من عقول وقلوب الكثير من الرؤساء والمرءوسين ، يجب أن تنزاح ؛ لتحل محلها عقيدة عملية جديدة ، هى عقيدة المحاولة والخطأ بإزاء التجارب الجديدة فى مزاولة المهام الوظيفية . وبذا تتوافر فرص نمو الفكر وخصوبة الخبرة أمام جميع العاملين فى شتى مجالات العمل .

★ ★ ★

الفصل الرابع

الإدراك والفكر

الإدراك انبثاق من المحسوسات :

نحن نطل على العالم من حولنا بوساطة الحواس الخمس المعروفة . والإنسان يشترك مع الكثير من الكائنات الحية فى توافر تلك الحواس لديه ، وإن كان قد استطاع بذكائه أن يعمل على تقويتها ، وعلى توظيفيها بطرائق متباينة أعمق مما خلقت عليه . ولكن مع هذا فإن بعض الكائنات الحية تمتاز بقوة خاصة بإزاء بعض الحواس الخمس.فلدى الكلب حاستان أقوى من نظيرتيهما لدى الإنسان ، أعنى حاسة السمع وحاسة الشم . ولدى بعض الطيور كالصقر مثلاً ، حاسة البصر أقوى مما لدى الإنسان .

والوظيفة المشتركة بين الحواس الخمس هى وظيفة استقبال صور ذهنية للواقع الخارجى . فالعينان تلتقطان صورًا بصرية ، والأذنان تلتقطان صورًا سمعية ، إلى آخر الصور الذهنية التى تلتقطها الحواس الثلاث الباقية .

ولكن الصور الحسية التى تلتقط من الواقع الخارجى قد تظل صورًا كامنة ، وقد ترتفع إلى مستوى الترجمة الذهنية فى مراكز الترجمة بالمخ ، حيث يقوم كل مركز من تلك المراكز بترجمة الإحساسات الخاصة به ، فيحيلها إلى صور ذهنية إدراكية . ومعنى هذا أن ثمة صورًا حسية تُلتقط من الواقع الخارجى تظل فى نطاقها الحسى ، ولا تستحيل إلى مدركات حسية .

Looloo
www.dvd4arab.com

وهناك فى الواقع تفاعلات تتم فيما بين المدركات الحسية بعضها وبعض . فالصور الإدراكية التى تلتقط للشىء الواحد ، سواء أكانت صورًا إدراكية بصرية ، أم صورًا إدراكية سمعية ، أم غير ذلك من صور إدراكية ، لا تكون منعزلة بعضها عن بعض ، بل تتداخل بعضها مع بعض ، بل وتتفاعل بعضها مع بعض لكى تُشكِّل قوامًا إدراكيًا مُركبًا لذلك الشىء الذى تقع عليه الحواس ، وتلتقط له صورًا حسية تستحيل إلى صور إدراكية ذهنية .

والواقع أن المحسوسات ذات طبيعة عصبية بيولوجية ، بينما الصور الذهنية الإدراكية ذات طبيعة عقلانية . فثمة استحالة تحدث لتلك المقومات العصبية البيولوجية التى تتسم بها المحسوسات ، فتصير تلك المقومات العصبية البيولوجية نفسها ذات طبيعة ذهنية إدراكية . فالمدركات الحسية جميعًا كانت فى أصلها عبارة عن تيارات عصبية انتقلت من العضو الحاس إلى مركز الترجمة الخاص به ، حيث استحالت من صورتها العصبية البيولوجية إلى صورة مباينة تمامًا هى الصورة الذهنية العقلانية .

الإدراك والتعرُّف :

بيد أن الإدراك مشروط بوجود خلفية معرفية سابقة ؛ حتى يتسنى حدوثه . فلقد يصل التيار العصبى من إحدى الحواس الخمس إلى مركز الترجمة الخاص بها فى المخ ، ولكنه لا يجد تكئة يتكئ عليها فى المخ ، فيظل على حاله ، ولا يستحيل من القوام العصبى البيولوجى إلى القوام العقلانى . وبالتالى فإنه يأخذ فى الضمور ثم يموت إلى غير رجعة .

فشرط الاستحالة من القوام العصبى البيولوجى إلى القوام العقلانى بالنسبة للتيارات العصبية الواردة من الحواس الخمس ، أن تكون هناك خلفية معرفية تتحقق من خلالها الصور الإدراكية العقلانية . وهذه العملية التى تتم بمراكز الترجمة تسمى التعرف **Recognition** .

وثمة بعض الشروط الواجب توافرها فى عملية التعرف حتى يتسنى ترجمة المحسوسات إلى مدركات والشروط هى :

أولاً ـ طبيعة الخلفية المعرفية : فلابد أن تكون الخلفية المعرفية لدى المرء متضمنة هذا النوع من المدركات التى يراد انبثاقها من المحسوسات الواردة إلى مراكز الترجمة . فلقد تكون الخلفية المعرفية خصبة بإزاء نوعيات معرفية معينة ، بينما تكون منعدمة بإزاء نوعيات أخرى . فلقد يكون المرء على جانب كبير من الثقافة الأدبية ، ولكنه يكون منعدم المعرفة بإزاء علم الفلك أو الرياضة البحتة مثلاً . فإذا ما وقع بصره على كلام يتعلق بالفلك أو الرياضة البحتة ، وتم نقل المحسوسات المتعلقة بهذين المجالين إلى مركز الترجمة البصرية بالمخ ؛ فإنها لا تستحيل إلى صور إدراكية معرفية ، وذلك لأن الخلفية المعرفية التى تأتت له لا تساعده على القيام بعملية التعرُّف .

ثانيًا ـ قوة الخلفية المعرفية : فلقد تكون الخلفية المعرفية التى تأتت للمرء محتوية على تلك النوعية المعرفية ، ولكنها تكون خلفية هزيلة وواهنة . فعندما يصل التيار العصبى من العينين إلى مركز الترجمة البصرى بالمخ ، لا يتسنى له أن يترجَم به بسبب ضعف ووهن تلك الخلفية المعرفية برغم وجودها .

ثالثًا ـ عدم توافر التكامل الإدراكى : فلقد يكون التيار العصبى الحسى قويًا ، ومركز الترجمة سليمًا ، والخلفية المعرفية سوية وقوية

Looloo
www.dvd4arab.com

بـازاء تلـك النوعيـة المعرفيـة التـى تتعلـق بالمدركـات المطلـوب استحداثها ، ولكن الروابط فيما بين هـذه الأضـلاع الثلاثـة تكـون غير متوافرة أو مفككة . عندئذ لا يتسنى إحالـة التيـار العصبـى البيولوجـى إلى مدرك معرفى .

الإدراك والوجدان :

الواقع أن الوجدان هو الطاقة النفسية التى تعمل على تشغيل جميـع أنشطة المرء بما فى ذلك الأنشطة الذهنية المتباينة . فلولا تلك الطاقـة الوجدانية ، ما كان للإدراك أن يتم . والوجدان قد يكون إيجابيًا ، كمـا قد يكـون سلبيًا . والوجـدان إذا مـا تبلـور حـول موضـوع مـا ، فإنـه يستحيل من كونه وجدانًا إلى عاطفة . فالوجدان الإيجابى المتبلور هـو الحب ، والوجدان السلبى المتبلور هو الكراهيـة . ونحـن فـى عملياتنـا الإدراكيـة نخضـع للحـب والكراهيـة . فمـا نحبـه نقبـل علـى إدراكـه ، ومـا نكرهه ننبو عنه ولا يتسنى لنا إدراكه . بيد أن المرء قـد لا يحـس باعتمال الحب والكراهية فى الموقف الإدراكى ، وكثيرًا ما يعمـد إلـى إنكار وجود الأشياء موضوعيًا لأنه لا يدركها ، ولا يـدرى أن السـبب فى عدم إدراكها ليس عدم وجودها ، بل بسبب اعتمال الكراهية بـازاء تلك النوعية من المدركات الحسية .

والوجدان وإن كان انبثاقًا من الطاقـة العصبيـة ، فإنـه مبـاين عنهـا لأنه يتعين وينقسم إلـى نوعيـن بعـد أن كـان نوعًـا واحـدًا . فـالوجدان نوعان كما قلنا : نوع إيجابى وآخر سلبى . أما الطاقـة العصبيـة فهـى غير مُتَّسمة بصيغة معينة . فهى ذات طبيعة حيادية لا تتسم بالإيجابيـة أو بالسلبية . ولكنها تستحيل إلى هاتين النوعيتين نتيجة التفاعلات التى تحدث بين قوام المرء وبين الواقع الخارجى ، فتستحيل إما إلى وجدان إيجابى ، وإما إلى وجدان سلبى .

الإدراك واللاشعور :

الواقع أن ثمة تدرجًا فيما بين الشعور واللاشعور . فالعلاقة بينهمـا كعلاقة البياض بالسواد . فأكثر الأشياء بياضًا تتضمن بعض السـواد ، كما أن أكثر الأشـياء سـوادًا تتضمـن بعـض البيـاض . ولكـن الصبغـة السائدة تكون لها الغلبة والسيطرة على الموقـف ، فينعت الشـىء بأنـه أبيض بسبب سيطرة وسيادة البيـاض عليـه ، بينمـا ينبعث بأنـه أسـود بسبب سيطرة وسيادة السواد عليه .

ومعنى هذا أن المرء وهو يظن أنه فى حالة شعور أو وعـى تـام ، يكون مشوبًا ببعض اللاشعور . من هنا فإنه قد يقع علـى موضوعـات حسية خارجية ، ولكن لا يتسنى له إدراكها بسبب تدخل اللاشعور فـى الموقف الإدراكى .

وجريًا وراء فرويد ومدرسة التحليل النفسى ، فإن اللاشعور عبارة عن نطاق تعتمـل فيـه الرواسب الإدراكيـة التـى تـم إدراكهـا بـالفعل ، ولكنها احتجبت عـن المجـال الإدراكـى المعرفـى ، فغطسـت إلـى هـذا النطـاق الـذى يسـمى اللاشـعور ، ولكـن تلـك الرواسـب تظـل نشـيطة ومتحفزة للبزوغ فى هيئات رمزية وبخاصة فى الأحلام وفى سَقَطات اللسان أو القلم ، وفيما يجرى علـى لسـان الشـخص مـن نكـت أو مـن قصص يقوم بتأليفها .

ولكن اللاشعور يلعب أيضًا دورًا فى تلوين المدركات الحسية بلون معين أو بالانحراف بالترجمة الإدراكية عن حقيقتها . فالشخص الـذى كبتت لديه الرغبات الجنسية ، ينتحى إلى ترجمة العلاقات الاجتماعيـة العادية التى تحدث أمامه ترجمة جنسية ، بينما يهمل جميع الترجمـات الأخرى التى يمكن أن تحملها تلك العلاقات الاجتماعية . وكذا بالنسبة

Looloo
www.dvd4arab.com

للشخص الذى كبتت لديه مقومات لا شعورية تتعلق بالظلم والاضطهاد ، فإنه يترجم معظم المواقف التى يصادفها فى حياته فى ضوء ما يمليه عليه لا شعوره ، فيعتقد أن الناس جميعًا يتربصون به ويتآمرون للقضاء عليه أو لاضطهاده .

ولكن اللاشعور ليس شرًا كله . فالواقع أن المخزونات اللاشعورية كثيرًا ما تعتمل فى قوام المرء ، وفيما يتسنى له الوقوف عليه من مدركات متباينة ، فتعمل على تخصيبها . فطالما أن اللاشعور هو المخزن الذى تتراكم فيه المدركات التى لم يتسن خروجها إلى المستوى المعرفى الإدراكى ، فإن من الممكن إذن أن تطفو تلك المدركات المكبوتة على سطح الحياة المعرفية لدى المرء فى فترة ما من فترات حياته . ولعلنا نزعم بحق أن الأشخاص الذين يظهر نبوغهم فجأة بعد أن كانوا فى الظل تمامًا ويعتبرون ضمن المتخلفين بين زملائهم ، قد حازوا مدخرات لا شعورية خصبة تسنى طفوها على السطح عندما واتتها الفرصة لذلك .

الإدراك والهلوسة :

الهلوسة **Hallucination** . هى إدراك أشياء لا وجود لها فى الواقع الخارجى . والهلوسة ليست اختلاقًا أو كذبًا يلفقه الشخص المهلوس ، بل هى حقيقة يقررها كما وقع عليها ، ولا يكون مختلقًا أو كاذبًا . فعلى الرغم من أن ما يدركه الشخص المهلوس لا وجود له فى الواقع الخارجى ، فإن له وجودًا بدخيلته الذهنية . ولكن كيف نفسر الإدراك الهلوسى الذى لا وجود له فى الواقع الخارجى ؟

إن الشخص المهلوس يكون قد اختزن صورًا ذهنية فى ذاكرته ، وهى الصور التى تأتت له نتيجة استقباله لمحسوسات عن طريق

حاسة أو أكثر من حواسه الخمس ، ثم استحالت إلى مدركات ذهنية ، وخزنت بعد ذلك بالذاكرة . ولكن تلك المخزونات أو بعضها قد ينسرب فى بعض الأحيان - بسبب خلل معين يكون قد أصاب المخ - من الذاكرة ويتخذ الطريق العكسى فيدخل فى نطاق مركز الترجمة ، ثم يستحيل إلى تيار عصبى ، ثم يسلك طريقه إلى الحاسة المتعلقة به فيرى أو يسمع أو يلمس أو يشم أو يذوق مالا وجود له فى الواقع الموضوعى .

ولقد يكون الاضطراب الذى يحدث بالمخ وينجم عنه ما يدركه الشخص المهلوس من هلوسات اضطرابًا مؤقتًا وعابرًا ، وبالتالى فإن ذلك الشخص لا يكون تحت وطأة مرض نفسى بحاجة إلى علاج نفسى . ولكن ذلك الاضطراب الذى يحدث بالمخ قد يكون نتيجة لمرض عصبى عضوى ، أو قد يكون نتيجة لمرض نفسى وظيفى . ومن ثم فإن شخصًا كهذا لابد أن يخضع للعلاج العصبى أو العلاج النفسى .

ولاشك أن الهلوسات التى تصيب أحد الأشخاص تسبب له مشكلات خطيرة . فقد تشاهد إحدى الزوجات زوجها وقد تأبط ذراع إحدى الفاتنات ، أو وهو فى صحبتها بسيارته ، بينما يكون الزوج فى حقيقة الأمر بعمله ، أو يكون قد سافر فى مأمورية أو فى مهمة رسمية . ولكن الزوجة تصر على الطلاق لأنها شاهدته بعينيها فى ذلك الموقف المريب على الرغم من براءته من ذلك الاتهام . وثمة الكثير من الشهادات التى يدلى بها الشهود بالمحاكم لا يكون لها أى أساس من الحقيقة فى شىء . ولقد ينجم عن بعض تلك الشهادات الزج بالأبرياء فى السجون ، أو الحكم عليهم بالإعدام . وفى تلك الحالات لا يكون مقدمو الشهادة كاذبين ، بل يكونون صادقين سيكولوجيًا ، وكاذبين موضوعيًا ويكون السبب فى كذبهم سيكولوجيًا ، هو ما أصيبوا به من هلوسات .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الخامس
الذاكرة والفكر

أربعة أنواع من الذاكرة :

من الشائع الاعتقاد فى أن الذاكرة تنحصر فى المفهوم العقلانى ، أى أنها المخزن الذى تختزن به الصور الذهنية التى سبق أن اكتسبها المرء عن طريق حواسه الخمس . بيد أن المتأمل يستطيع أن يكتشف أن هناك ثلاثة أنواع أخرى للذاكرة إلى جانب هذا المعنى العقلانى لعلنا نقوم باستعراضها على النحو التالى :

أولاً ـ الذاكرة الكلامية : فالذاكرة لا تختزن المعانى أو الأفكار فحسب ، بل تختزن أيضًا الأثواب التى تتلبس بها تلك الأفكار . ومن الخطأ أن نقول : إن الفكرة هى وما يعبّر عنها شىء واحد ، وأنه بمجرد تذكر الفكرة ، فإن الألفاظ التى تعبر عنها تكون متحدة معها . فالحقيقة أن الفكرة شىء ، وما تتلبس به من ألفاظ منطوقة أو ألفاظ مكتوبة شىء آخر . فمن الممكن التمييز بين هذين الطرفين . وشاهد ذلك أنك كثيرًا ما تخطر ببالك فكرة ، ولكنك تحار فى التعبير عنها ، أو لا تجد لها على لسانك أو على قلمك ما يعبر عنها ، ومن جهة أخرى فإنك قد تتذكر كلمة سمعتها أو قرأتها ، ولكنك لا تفهم معناها . فتذكرك لها مستقل عن معناها ، أو أنك تحمل فى ذهنك معنى مخالفًا لمعناها الحقيقى . فيبرهن هذا على أن الفكرة مباينة لما يعبر عنها بالكلام .

ثانيًا ـ الذاكرة الوجدانية : وهى ذاكرة الآثار الوجدانية . فلقد يوجه إليك أحد الحاقدين كلامًا يضايقك . وبعد فترة ما تنسى ذلك الكلام ، أو حتى لقد تنسى ذلك الشخص ولا تذكر من ملامحه شيئًا . ولكنك وبغير توقع قد تقابله أو تقابل شخصًا يشبهه ، فتجد أنك قد بدأت تشعر بضيق وتبرُّم وكراهية لذلك الشخص . فما تفسير ذلك ؟ إنها الذاكرة الوجدانية التى استدعت المشاعر المختزنة بتلك الذاكرة الوجدانية وطفت بها إلى سطح الشعور .

ثالثًا ـ الذاكرة المهارية الحركية : فأنت بعد أن تدربت على قيادة السيارة ، فإنك بمجرد جلوسك إلى عجلة القيادة ، حتى ولو بعد فترة طويلة من انقطاعك عن ممارسة القيادة ، تجد أنك تقودها بإتقان . فما تفسير احتفاظك بتلك المهارات الحركية التى اكتسبتها ثم انقطعت عن ممارستها فترة من الزمن ؟ إنها الذاكرة المهارية الحركية .

وعلى الرغم من أننا نميز بين هذه الأنواع الأربعة من الذاكرة ، وهى : الذاكرة العقلانية ، والذاكرة الكلامية ، والذاكرة الوجدانية ، والذاكرة المهارية ، فإننا مع هذا نقول : إن ثمة تكاملا فيما بينها جميعًا . ويتبدى ذلك التكامل فى تفاعلها بعضها مع بعض ، وتآزرها بعضها مع بعض ، ومساندة بعضها لبعض . فمثلا عندما نسمع أو نقرأ كلمة « قسوة » ، فإننا نجد أننا نستدعى إلى ذهننا معنى القسوة الذى قد يجر معه مجموعة من المواقف والذكريات التى مرت فى حياة المرء أو شاهدها . فقد نتذكر ما كان المدرس يوقعه علينا وعلى التلاميذ الآخرين من إيذاء أيام كنا بالمدرسة الابتدائية . وقس على هذا ما يتبدى من تكامل فيما بين أنواع الذاكرة الأخرى التى عرضنا لها آنفًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

علاقات الذاكرة :

علينا أن نضع نصب أعيننا أن الذاكرة ليست ساكنة راكدة ، بل هى فى حركة دائبة ، وتنهج وفق عمليات تفاعلية مستمرة ومحتدمة ، سواء فى نطاقها الداخلى ، أم بينها وبين ما تتلقاه من خارج نطاقها . فالمخزونات التذكرية لا تتكوّم بعضها فوق بعض ، ولا تتراص بعضها إلى جانب بعض ، كما يحدث بمخازن البضائع ، بل إن تلك المخزونات تتفاعل بعضها مع بعض ، أو تتداخل بعضها فى بعض ، فالصور التذكرية الذهنية تتغير بفعل تلك التفاعلات والتداخلات ، مما يتأتى عنه تغيُّر تلك المخزونات عما كانت عليه لدى دخولها فى نطاق الذاكرة . فما نتذكره لا يتطابق تطابقًا تامًا مع ما انخرط فيها من ذكريات بادئ ذى بدء .

وللذاكرة المعنوية مجموعة من العلاقات تنشأ بينها وبين الأجهزة الذهنية الأخرى . فثمة أولاً علاقتها بالمدركات الحسية . فبعد أن تترجم الأحاسيس إلى معان بمراكز الترجمة بالمخ ، فإن جانبًا منها يدخل فى نطاق الذاكرة ، بينما يتبخر الباقى ويتلاشى .

أما العلاقة الثانية ، فهى علاقة الذاكرة بالمخيلة . فما يوجد بالذاكرة من محفوظات تذكرية ، قد يخضع جانب منه لسيطرة المخيلة التى تقوم بتصنيع منتجات تخيُّلية جديدة باعتمالها فى قوامها ، وذلك بتغيير العلاقات فيما بينها . فهى قد تجعل الصغير كبيرًا ، والكبير صغيرًا . وقد تجعل السابق لاحقًا ، واللاحق سابقًا ، إلى غير ذلك من تغييرات تخيلية كثيرة .

أما العلاقة الثالثة فهى علاقة الذاكرة بالمفاهيم أو التصورات Conceptions . وحيث إننا لم نقع حتى الآن على اسم للجهاز الذهنى

الذى يقوم بتصنيع المفاهيم أو التصورات المجردة والمعممة ، فإننا نقوم باقتراح اسم له وليكن « عقلو » . فالعقلو يقوم باستخدام بعض المخزونات التذكرية ويصنع منها مفاهيم أو تصورات ذهنية تتصف بالتجريد والتعميم . من ذلك مفهوم « الرجل » ومفهوم « المرأة » ومفهوم « العدالة » ومفهوم « السمو » إلى آخر تلك المفاهيم المجرّدة التى يقوم « العقلو » بتشكيلها .

التذكر الاسترجاعى Recognition :

من الملاحظ أن الشخص المتقدم فى السن كثيرًا ما يتذكر أحداثًا وقعت له فى طفولته أو منذ فترة طويلة لا يكاد يذكرها . ولا تقتصر هذه الظاهرة على الشيوخ من الجنسين ، بل قد تتبدى فى حياة بعض الشباب ، بل وبعض المراهقين من الجنسين . وفى المقابل ، فإن الشيخ أو الشاب ، أو المراهق الذى يتذكر الوقائع البعيدة فى الطفولة ، وهو ما نسميه بالتذكر الاسترجاعى ، قد ينسى الوقائع القريبة التى حدثت فى الأمس القريب . فيماذا نفسر هذه الظاهرة المتمثلة فى التذكر الاسترجاعى وما يتواكب معه من نسيان الوقائع التى وقعت منذ وقت قريب ؟

إننا فى محاولتنا تفسير هذه الظاهرة ، فإننا نقدم مجموعة من التفسيرات نقدمها على النحو التالى :

أولاً - التفسير بانتقال مركز الطاقة : ثمة طاقة معينة للذاكرة القريبة وللذاكرة البعيدة . فهذه الطاقة يمكن أن تنتقل من نطاق المخزونات التذكرية التى خزنت منذ وقت قريب ، إلى نطاق المخزونات التذكرية التى خُزّنت منذ وقت بعيد . وبذا فإن التذكر يحدث بإزاء هذا النوع الأخير من الذكريات ، بينما يبعد عن نطاق الذكريات القريبة مؤقتًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثانيًا ـ التفسير بالترابطية : فالمخزون التذكرى الذى يترابط مع ذكريات أخرى ـ سواء أكانت ذكريات معنوية أم ذكريات وجدانية ـ يُفعم بالقوة التى تسمح له بالطفو على سطح الشعور . أما الذكريات المنعزلة أو المنفصلة أو المتقطعة والتى تكون بمثابة قطع مبعثرة أو مهلهلة ، فإنها لا تكون مفعمة بالطاقة التى تسمح بذلك الطفو على سطح الشعور .

ثالثًا ـ التفسير بالتوظيف : فالمخزونات التذكرية التى يتسنى توظيفها واستخدامها فى مواقف الحياة المتباينة ، تطفو على سطح الذهن فيتم تذكّرها . أما المخزونات التذكرية التى لا يتم توظيفها واستخدامها ، فإنها تظل فى حالة ركود . فالشخص الذى تبدو لديه الذاكرة الاسترجاعية ، يكون قد قام لا شعوريًا بتوظيف تلك المخزونات التذكرية القديمة التى ربما ترتد إلى طفولته الباكرة .

الذاكرة والأحلام :

كشف فرويد السر الذى كان مُستغلقًا بإزاء اللاشعور ، بل إنه جعل للاشعور فاعلية فى حياة المرء أكثر من فاعلية الشعور . فما ترسّب فى نطاق اللاشعور برغم أنه محجوب عن وعى المرء وشعوره ، فإنه ينتهز كل فرصة ممكنة لإثبات وجوده وفاعليته ، فالكثير من التصرفات والأقوال التى يعتقد المرء والناس المحيطون به أنها صادرة عن وعى وإدراك من جانبه لمقومات الموقف ، إنما تكون تصرفات وأقوال صادرة مباشرة عن اللاشعور .

فما يعتبر فى نطاق أحلام النوم فحسب ، يمكن أن يتبدى والمرء فى حال اليقظة . فالكثير من النتاجات الأدبية والفنية تعد تعبيرًا عن اللاشعور لدى الأديب أو الفنان . ولكن مما لاشك فيه أن أحلام النوم

هى الدرجة القصوى من الانخراط فى اللاشعور . وبذا فإن ما نحلم به ، يكون ترجمة حقيقية لما ترسّب من ذكريات بذلك اللاشعور .

ومعنى هذا أننا ندْرج اللاشعور ضمن نطاق الذاكرة ، فنقول : إن الذاكرة تتضمن شعورًا من جهة ، ولا شعورًا من جهة أخرى . فالذاكرة اللاشعورية تترجم عن نفسها فى شكل أحلام تذكرنا بالجُبّ الذى ذكره أفلاطون . فنحن فى أثناء انخراطنا فى النوم ، نكون فى جُبّ لا نرى فيه سوى أخيلة للواقع وليس الواقع نفسه . وهذه الأخيلة هى ترجمة رمزية للمكبوتات اللاشعورية التذكرية .

على أن الأحلام التى نراها فى أثناء الانخراط فى النوم ، لا تكون نابعة من الذاكرة المعنوية فحسب ، بل تكون نابعة أيضًا من الذاكرة الوجدانية ، والذاكرة الكلامية ، بل وأيضًا من الذاكرة المهارية الحركية فى حالة النوم اليقظان **Somnambulism** أو السرنمة أو السير فى أثناء النوم كما ورد بقاموس المورد . فالأحلام لا تقتصر على الناحية المعرفية ، بل تتعداها إلى الأنواع الأربعة من الذاكرة التى ذكرناها . ولكن كل ما يشاهدة المرء فى أحلامه يكون نابعًا بصفة جوهرية من قوام اللاشعور . وعلينا أن نؤكد أن ما نحلم به ، لا يكون بالضرورة مخاوف وشهوات جنسية وعدوانا من جانب أعدائنا علينا ، بل إن بعض الأحلام ، تكون أحلامًا إلهامية تُبصّرنا بالطريق الأصلح والأنفع لحياتنا ، أو تكون أحلامًا تفاؤلية تشيع البهجة والسعادة فى قلوبنا بما تنبئنا به عما سوف نحصل عليه من خير وأسباب للسعادة فى المستقبل .

وعلى أية حال فإننا نستطيع القول بأن الأحلام وإن كانت تعبيرًا عن تلك المخزونات التذكرية ؛ فإن لها وظائف إيجابية فى حياتنا ، بل إن لها وظائف علاجية نفسية أيضًا ، إذ إنها تخلصنا من الكثير من التوترات التى أخذت بنا كل مأخذ .

Looloo
www.dvd4arab.com

الذاكرة والانحرافات النفسية :

على الرغم من أن الذاكرة تلعب دورًا جوهريًا فى تنمية الفكر ؛ فإنها من جهة أخرى قد تلعب دورًا فى الإصابة بالمرض النفسى . فلقد تتمركز الذاكرة فى فكرة واحدة تسيطر على ذهن المرء بحيث ينصرف عن الواقع المحيط به ، ويخضع لسلطان وسلطة تلك الفكرة الواحدة التى تسمى الفكرة الثابتة **Fixed Idea** . فالمصاب بالفكرة الثابتة يستمد من ذاكرته فكرة ما ، ويرتكز ذهنه عليها ولا يريم عنها ، بل إنه كلما أراد أن ينتقل منها إلى غيرها ، أو أن يتخلص منها ، فإنه يحس بالعجز بإزائها . والشىء نفسه يقال عن الوسواس الموسيقى . فلقد تسيطر نغمة ما أو أغنية معينة على ذهن المرء بحيث لا يستطيع أن يتخلص منها ، أو أن يفكر فى شىء آخر غير متابعتها فى ذهنه ، وكأن هناك جهاز تسجيل عاطب قد وضع فى مخه فيعيد تلك النغمة أو الأغنية المرة تلو المرة بغير توقف ، سواء فى أثناء يقظته أم فى أثناء نومه .

وما يقال عن الوسواس الموسيقى وغيره من وساوس ذهنية ، ينسحب بإزاء الأفعال القهرية **Compulsions** التى تتعلق بمهارات حركية معينة . فالعامل بأحد المصانع الذى ينحصر عمله فى عملية واحدة ، قد يجد نفسه مضطرًا للاستمرار فى أداء حركات تلك العملية حتى بعد انصرافه من المصنع . ولعلنا نذكر بهذه المناسبة **شارلى شابلن** فى أحد أفلامه وقد أخذ يقدم فيه هذا النوع من الأفعال القهرية . فما ترسّب فى شخصية المرء من مهارات ، وصار ضمن الذاكرة المهارية الحركية ، قد يطفو على سطح السلوك ، بل ويأخذ بمقاليد الشخصية ويتحكم فيها . وبذا يعتبر هذا السلوك القهرى ضمن الانحرافات النفسية التى تعتبر ترجمة لبعض المخزونات التذكرية المهارية الحركية بطريقة منحرفة عن السوية .

★ ★ ★

الفصل السادس
الخيال والفكر

بالخيال نجد الأهداف :

لاشك أن الأهداف عبارة عن صور ذهنية ترتسم فى الذهن ، ثم تتجسد فى المرحلة الأولى على هيئة كلام مكتوب أوعلى هيئة رموز ، ثم تتحقق فى المرحلة الثانية إذا ما توافرت لها الظروف المناسبة لإحالتها من نطاق التدوين إلى النطاق الواقعى الموضوعى . وطالما أن الأهداف تقع فى نطاق الفكر ، فإن الخيال الذى يقوم بتصنيع تلك الأهداف ، يعمل على توسيع نطاقه وتعميقه .

ومعنى هذا أن المرء كلما كان أخصب خيالاً ، فإنه يكون بالتالى أكثر قدرة على ترسُّم أهداف عظيمة ومتجددة باستمرار . وبالتالى فإنه كلما كان أخصب خيالاً ، فإنه يكون أكثر قدرة على دعم فكره وتوسيع نطاقه وتخصيبه باستمرار .

بيد أن هناك مجموعة من الخصائص التى يجب أن يتّصف بها الخيال ؛ حتى يتسنى له ترسُّم الأهداف الجيدة نقوم باستعراضها فيما يلى :

أولاً ـ الارتباط بالواقع : فلكى يكون الخيال ناجعًا فى ترسُّم الأهداف الجيدة والمتجددة ، لابد أن يكون مرتبطًا ارتباطًا مكينًا بالواقع ، فمن الخطأ أن نعتقد أن الخيال مناف للواقع أو مستقل عنه . فواقع الأمر أن الخيال الجيد هو امتداد للواقع . فكلما كان الشخص

Looloo
www.dvd4arab.com

المتخيِّل واقفًا على حقيقة الواقع كما هو بالفعل ، فإنه يستطيع ، إذن أن يمتد بخياله بذلك الواقع إلى الأمام . فلا تكون الأهداف التى يترسَّمها الخيال بعيدة أومنفصلة عن ذلك الامتداد الطبيعى ، انطلاقًا من آخر نقطة وصل إليه الواقع من تحقُّق .

ثانيًا ـ الاستمرارية وعدم التفكك : فلكى يكون الخيال خليقًا بترسُّم صور خيالية جيدة للأهداف المستقبلية ، فلابد أن يتصف بالاستمرارية وعدم التفكك . ذلك أن الهدف لكى يكون متكاملاً ، فلابد أن يكون استمرارًا حقيقيًّا للواقع الذى توصَّل إليه المرء . أما إذا كان الخيال ممزَّقًا وباهتًا فإن الأهداف التى يترسَّمها تكون ممزقة وباهتة أيضًا ، ولا يتسنى بالتالى تحقيقها .

ثالثًا ـ تكاملية الخيال : ولكى يكون الخيال قمينًا بتشكيل الصور الذهنية التى تتشكل منها الأهداف ، فلابد أن يكون شاملاً ومتآزرًا مع الوسائل التى يتسنى تحقيق الأهداف عن طريقها أو بوساطتها . فمن المستحيل تخيُّل هدف جيد دون تخيل الوسيلة التى يتسنى بها إخراجه إلى حيز الواقع . فالهدف مرتبط بوسيلة تحقيقه ارتباطًا مكينًا .

رابعًا ـ تفاعلية الخيال مع المدركات والذكريات : فالغذاء الذى يُقيت الخيال هوتلك العناصر التى يستمدها من المدركات الحسية من جهة ، ومن الذكريات المختزنة بالذاكرة من جهة أخرى . فكلما كانت الصلة مستمرة ، والتفاعل دائبًا بين الخيال وهذين المصدرين ، فإنه يكون بالتالى قادرًا على تشكيل الصور الذهنية التى تتمثل فى الأهداف التى يترجى المرء تنفيذها .

خامسًا ـ مساندة الطاقة الوجدانية : فالوجدان بمثابة الطاقة التى يستخدمها المرء فى جميع أنشطته ، سواء أكانت أنشطة ذهنية ،

أم أنشطة أدائية . فكلما كان المرء موجِّهًا طاقته الوجدانية إلى نطاق خياله ؛ فإن ذلك الخيال يكون متحفِّزًا للقيام بتشكيل الأهداف المستقبلية .

بالخيال نَسبر آفاق المجهول :

هناك فى الواقع احتمالات كثيرة تتعلق بما يمكن تحقيقه فى المستقبل . بيد أن تلك الاحتمالات تقع فى نطاق المجهول . ولكن بالخيال يقوم المرء باكتشاف جانب من تلك الاحتمالات التى يمكن تحقيقها . وكلما كان الخيال أكثرة قوة ، فإن قدرة المرء على الكشف عن تلك الاحتمالات وتبيُّن ملامحها تكون أقوى . والواقع أن تحقيق الاحتمالات إما أن يكون سهلاً ، وإما أن يكون صعبًا ، وإما أن يكون مستحيلاً . فبالخيال يستطيع المرء أن يقف على هذه الأنواع الثلاثة من الاحتمالات المطروحة فى غياهب المستقبل ، فيقع على الاحتمالات السهلة والاحتمالات الصعبة ، بينما ينبو عن الاحتمالات المستحيلة .

بيد أن الاحتمالات التى قد تبدو مستحيلة فى نظر بعض الناس ، قد تكون صعبة التحقيق فحسب ولكنهالا تكون مستحيلة ، بل تكون قابلة للتحقيق فى نظر أشخاص آخرين . فالمسألة نسبية فى الواقع . وتتوقف السهولة والصعوبة أو تعذُّر التحقيق على مدى قوة الخيال .

ولعنا نقوم فيما يلى بتحديد الشروط الواجب توافرها ؛ حتى يتسنى إحالة الاحتمالات من نطاق المجهول إلى نطاق المعلوم ، أى ما يجب أن يتوافر للخيال من خصائص ؛ حتى يتسنى له سبر المجهول . والشروط هى :

أولاً ـ الخلفية المعرفية : فلكى يتسنى للمرء أن يجيل خياله فى المجهول؛ ليكشف النقاب عنه ، فلابد أن تكون لديه خلفية معرفية تتعلق به

Looloo
www.dvd4arab.com

فعالم الفيزياء الذى يحاول كشف النقاب عن حقائق فيزيائية معينة ، لابد أن يكون مسلّحًا بركائز معرفية فيزيائية تساعده على القيام بذلك فى حدود ما أهّل به من معرفة فيزيائية .

ثانيًا ـ ارتباط المجهول بحل مشكلة مُلحة : فلقد يكون ذلك المجهول الذى يراد سبر أغواره مفتاحًا لحل مشكلة مهمة ، مما يدفع بالمرء إلى البحث عن حل لها غير معلوم . من ذلك مثلاً ما يتعلق بمرض الإيدز الذى يشكل مشكلة عالمية بمعنى الكلمة . فاحتدام هذا المرض واستحالة الشفاء منه ، يحفز العلماء المتخصصين فى الطب الوقائى والطب العلاجى على إعمال خيالهم العلمى حتى يتسنى لهم الكشف عن المجهول المتمثل فى وسائل الوقاية من ذلك المرض الوبيل ، والوقوف على العلاج الناجع إذا ما أصيب المرء به .

ثالثًا ـ توافر الإمكانات : فسَبْر المجهول بحاجة إلى توافر إمكانات معينة . فالعلماء الذين يحاولون الكشف عن المجهول بإزاء معضلة ما من المعضلات العلمية ، يجب أن يتسلحوا فى إعمال خيالهم فى أغوار المجهول ، بما يتوافر لديهم من أدوات وخامات . فالخيال بحاجة إلى ما يوازره من إمكانات ؛ حتى يتسنى الإفادة بإمكاناته فى الكشف عن المجهول .

بالخيال نخطط للمستقبل :

يمتاز الإنسان عن سائر الكائنات الحية بالتطلع إلى المستقبل بوساطة ما أهّل به من خيال . فكلما كان المرء متمتعًا بمستوى أعلى من الخيال ؛ فإن قدرته على استشفاف المستقبل تكون أوسع نطاقًا وأعمق غورًا . بيد أن الإنسان لا يتوقف عند حدود استشفاف المستقبل ، بل يُعد العدة لمجابهته ، سواء بقصد التغلب على المشكلات التى تنبأ

بحدوثها ، أم بقصد استغلال الإمكانات واقتناص الفرص التى يحملها ذلك المستقبل بين طياته . والواقع أن فاعلية الخيال فى التخطيط للمستقبل تتحدد فى النقاط التالية :

أولاً ـ استقراء الحاجات والرغبات : فلكى يقوم المرء بإعمال خياله فى المستقبل ويخطط له ، فلابد أن ينطلق فى هذا الصدد انطلاقًا مما يحس به من حاجات ورغبات يبتغى تحقيقها . فكلما استطاع المرء أن يقف على حاجاته وحاجات مجتمعه ، وعلى رغباته ورغبات مجتمعه ، فإنه يكون خليقًا إذن بترسُّم خطط مستقبلية مكينة بوساطة خياله الذى يجنده لهذا الغرض .

ثانيًا ـ ترتيب خطوات الخطة : فبالخيال يستطيع المرء أن يحدد المراحل التى يجب أن يخضع لها التخطيط الذى يتم تصوُّره . وبتعبير آخر فإنه يستطيع أن يرتب الخطوات التى سوف يتبعها فى التنفيذ . فثمة أولويات يجب أن تُتّبع فى تنفيذ الخطة . والخيال هو المسئول عن وضع هذا الترتيب حتى تكون الخطة متصفة بالتكامل والاتساق .

ثالثًا ـ إدخال التعديلات فى ضوء تغيُّر الظروف : فالواقع أن الخيال لا يتوقف عند حد معين بعد وضع الخطة ، بل يستمر فى العمل . ومن الطبيعى أن تغيرات كثيرة أو قليلة وتطورات غير متوقعة تحدث . وبالتالى فيكون محتّمًا على الخيال أن يُدْخل التعديلات والتنقيحات اللازمة حتى تكون الخطة ذات فاعلية فى مجابهة التغيرات والتطورات التى وقعت أو تقع أو ستقع .

Looloo
www.dvd4arab.com

بالخيال نعد أنفسنا للعمل :

يقوم الخيال بإعداد المرء للعمل وتنفيذ ما قام بالتخطيط له . فلقد يقفه خياله على ضرورة تجهيز نفسه ببعض المعلومات والمهارات التى لابد من توافرها للقيام بالتنفيذ . ناهيك عن التجهيزات الأخرى التى نستطيع تحديدها على النحو التالى :

أولاً ـ التجهيزات المادية : فالشخص المقبل على القيام بعمل ما ، يقوم بتسريح الطرّف بوساطة الخيال فيما يجب أن يكون متوافرًا بين يديه من مال وأدوات وإمكانات مادية متباينة ؛ حتى يتسنى النهوض بالعمل الذى اعتزم القيام به . فالخيال لا ينصب على المستقبل فحسب ، بل ينصب على الحاضر والماضى أيضًا . فهو يتجه إلى الأضلاع الثلاثة للزمان ويتحرى ما كان يجب إعداده قبل التنفيذ من أشياء مادية ، وما يجب إعداده اليوم ، وما يجب أن يقوم بإعداده فى المستقبل .

ثانيًا ـ التجهيزات الاجتماعية : وبالخيال يستطيع المرء أن يقف على ما يجب تجهيزه من أشخاص ، وما يجب أن يقيمه من علاقات اجتماعية ، وما يجب أن يفسخه منها أو يضعفه ، وذلك حتى يتسنى له النجاح فيما يعتزم القيام به من أعمال . ولقد تتم التجهيزات الاجتماعية مباشرة بالاتصال المباشر بالأشخاص والجماعات ، أو بطريق غير مباشر بوساطة الخطابات أو بالاتصالات التليفونية وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة .

ثالثًا ـ التجهيزات الصحية والنفسية : فبغير أن يكون المرء مهيأ للعمل الذى سوف يضطلع به صحيًا ونفسيًا ، فإنه لا يستطيع الاضطلاع به على خير وجه . فلاشك أن إنجاز أى عمل بحاجة إلى مستوى صحى ونفسى معين . فالخطيب الذى يُقبل على إلقاء خطبة

عامة أمام الجماهير ، لابد أن يكون واثقًا من لياقته الصحية والنفسية لإلقاء الخطبة . وقل الشىء نفسه بإزاء جميع الأعمال والمهام التى يعتزم المرء الاضطلاع بها .

بالخيال نصحّح مسار حياتنا :

من الحقائق التى يجب أن نعترف بها ، أننا غير منزّهين عن الوقوع فى الأخطاء فى أثناء قيامنا بالأعمال المتباينة . ولكن الواقع أننا فى كثير من الأحيان نغفل الكثير من الأخطاء أو النقائص التى يمكن ملافاتها . ولكن بالخيال يتسنى لنا الوقوف على تلك الأخطاء وعلى الوسائل التى يمكن أن نصحح بها مسارنا فى الحياة .

فنحن بوساطة الخيال نستعيد فى أذهاننا الخطوات التى اتخذناها ، والمسارات التى سلكناها ، ثم نأخذ فى تقييم كل خطوة وكل مسار . ولعلنا نقوم بتناول ما يفعله الخيال فى ذلك التقييم على النحو التالى :

أولاً ـ معيار الخطأ والصواب : فبوساطة الخيال نستطيع أن نقّيم ما قمنا به من أعمال ، وما صدر عنا من تصرفات فى ضوء معيار الخطأ والصواب . والواقع أن هذا المعيار معيار منطقى أو رياضى . فالخطأ مناف لأحكام العقل السليم ، والصواب متمش مع أحكامه . ولقد نقول : إننا فى بعض اللحظات ننحرف فيما يصدر عنا من تصرفات عما يقرره العقل السليم ، ومن ثم فإننا نقع فى الخطأ الذى يشبه الخطأ فى حل إحدى المسائل الحسابية .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثانيًا ـ معيار الخير والشر : فبوساطة الخيال وبتسليطه على ما صدر عنا من أقوال وتصرفات ، أو حتى ما دار بخاطرنا من أفكار ومشاعر ؛ فإننا نستطيع تمييز ما يتصف منها بأنه داخل فى نطاق الخير ، وما يتصف منها بأنه داخل فى نطاق الشر . ولكن بالخيال أيضًا نستطيع أن نحل الخير محل الشر ، وأن نصلح ما اعوج من سلوكنا الداخلى المتعلق بالأفكار والمشاعر ، ومن سلوكنا الخارجى المتبدى فى تصرفاتنا امام الناس .

ثالثًا ـ معيار المناسب وغير المناسب : وبوساطة الخيال أيضًا نستطيع أن نميّز بين المناسب وغير المناسب فى سلوكنا الداخلى وسلوكنا الخارجى ، فنعمد إلى تحديد الأفكار والمشاعر التى تتسم بعدم اللياقة ، ونقوم بتصحيحها ، بحيث نتخذ من تقييمنا لتصرفاتنا هديًا لنا فى مستقبل حياتنا وفى علاقاتنا بالآخرين .

★ ★ ★

الفصل السابع
الذكـاء والفكـر

الذكاء اللغوى :

يعتقد البعض أن اللغة لا تعدو أن تكون وسيلة اتصال بين الناس بعضهم وبعض . والواقع أنها إلى جانب هذا تتصب على بعض الوظائف التى نقدمها على النحو التالى :

أولاً ـ الترميز اللغوى : فكلما تقدم الإنسان فى معارج الحضارة ، فإنه يجد أن لغة المفردات اللغوية والعبارات التى تشكل كل مفردة أو عبارة منها فكرة أو مفهومًا ، لا تفى بالمتطلبات العلمية والفنية . من هنا فإن لغة الأرقام والرموز والخطوط قد نشأت ؛ لكى تستخدم فى ايصال المعانى الدقيقة إلى الأذهان . وبتعبير آخر فإن لغة المفردات والعبارات ، لا تسمح بالاستخدام الدقيق ، وأن لا مناص من استخدام لغة أخرى هى لغة الرموز والأرقام والخطوط فى المجالات العلمية والفنية الدقيقة . ناهيك عن لغة الصفير والإشارات كما هو الحال فى المورس ، وفى وسائل المرور بالطرق والأنهار والبحار والمحيطات وهى اللغة التى أخذت وضعها إلى جانب لغة الكلام . فكلما ارتقى الإنسان وتقدّمت حضارته ، يأخذ فى ابتكار وسائل اتصال أخرى ليست مجرد كلام يقال أو يكتب .

ثانيًا ـ لغة الإشارات والحركات : إنه مع تقدم الفكر البشرى ، فإنه التمس لغة أخرى يستعين بها فى التفاهم مع الصم والبكم ، هى

Looloo
www.dvd4arab.com

لغة الاشارات والحركات وملامح الوجه . والواقع أن هذه اللغة لا تقتصر على التفاهم مع الصم والبكم ، بل تعتبر لغة مساعدة فى تعامل الناس بعضهم مع بعض فى حياتهم اليومية . ولاشك أن الشخص المتمتع باستخدام هذه اللغة إلى جانب استخدامه للغة الكلام العادية ، يكون أجلى بيانًا وأكثر توفيقًا فى الاتصال بالآخرين والتفاهم معهم . ناهيك عن أهمية هذه اللغة بالنسبة للممثلين الذين يؤدون أدوارهم على خشبة المسرح أو فى الأفلام السينمائية .

ثالثًا ـ لغة الكومبيوتر : وهذه اللغة وإن كانت صادرة فى أصلها عن الإنسان ؛ فإن الكومبيوتر يستعين بما يتلقاه من معلومات فيستعين بالتكثيف والتنسيق والترتيب وتقديم ما يرغب فيه المتلقى من معلومات فى أبهى صورة على الطابعة (البرنتر) . فالكومبيوتر يقدم المعلومات المطلوبة والمختزنة بذاكرته لا كما هى فحسب ، بل بعد تنسيقها وتبويبها . فهى تقدم الدقيق جدًا من المعلومات التى تحتاج إلى قضاء وقت طويل جدًا إذا ما اعتمد الإنسان على نفسه فى صياغتها . ناهيك عن الروبوتس التى هى فى الواقع تطوير للكومبيوتر ، وهى تستقل فى عملها عن الإنسان ، وتقدم إليه المعلومات وترشده إلى الكثير من الأمور الغامضة .

رابعًا ـ لغات الكائنات الحية الأخرى : لقد افتن العلماء فى الكشف عن الوسائل التى يتسنى بوساطتها الوقوف على اللغات التى تستخدمها الحشرات والطيور والحيوانات الزاحفة والحيوانات الفقرية فى اتصال بعضها ببعض ، أو فى الاتصال بينها وبين المدربين الذين يقومون باستئناسها والتفاهم معها .

والواقع أن الناس يتباينون بعضهم عن بعض فيما يتعلق بتمكُّنهم من استخدام اللغة وتوظيفها فى أنشطتهم المتباينة بسبب تفاوتهم فى مستوى الذكاء المقيَّض لكل واحد منهم . ولعلنا نحدد تلك التباينات على النحو التالى :

أولاً ـ مدى اتساع الحصيلة اللغوية : فالشخص الذكى يكون خليقًا بأن يجمع حصيلة لغوية أكبر مما يستطيعه الشخص منخفض الذكاء ، بفرض أنهما ينخرطان فى الظروف الاجتماعية والثقافية ذاتها ويخضعان لتأثيرها . ناهيك عن أن الشخص الأعلى ذكاء يستطيع أن يتعلم لغة أجنبية أو أكثر بإتقان وسرعة ، وأن يستوعب ما يتعلمه منها بأكثر سهولة وإتقان .

ثانيًا ـ التوظيف الاجتماعى للغة : والشخص الذكى يستخدم اللغة بإتقان وحذق ، وهو يتحرى الدقة فى استخدامها بحيث تكون خلوًا من الأخطاء من جهة ، وبحيث تكون مناسبة للمقام من جهة ثانية ، وتكون مسوقة فى قوالب جميلة ومُصاغة فى قوالب جذّابة من جهة ثالثة .

ثالثًا ـ الأغراض التى تستخدم فيها اللغة : فثمة تباين بين شخص وآخر من حيث الأغراض التى يستخدم كل منهما فيها اللغة ، سواء أكانت لغة منطوقة أم لغة مكتوبة . فكلما كان المرء أعلى ذكاء ، فإنه ينتحى إلى استخدام اللغة لتحقيق أهداف سامية رفيعة المستوى . صحيح إن الذكاء وحده لا يكفى لتحقيق ذلك ، ولكن كلما كان المرء أسمى ذكاء ، فإن زيادة خبراته وما يحصل عليه من علم يسمحان له بإيراز ما وهبه من ذكاء .

Looloo
www.dvd4arab.com

الذكاء المعنوى :

بينما ينصب الذكاء اللغوى على وسيلة التعبير ؛ فإن الذكاء المعنوى ينصب على المضمون . وهذا النوع من الذكاء يتضمن مجموعة من العمليات التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً ـ التحليل والتركيب : فالشخص الذكى ينحو دائمًا إلى هاتين العمليتين ، فهو يقوم بتحليل الأفكار والمحسوسات إلى مقوّماتها من جهة ، ثم هو يقوم بإعادة تركيب تلك المقومات فى هيئة مركبات جديدة من جهة أخرى .

ثانيًا ـ اكتشاف علاقات جديدة : فالمرء كلما كان أعلى ذكاء فإنه يكون بالتالى خليقًا باكتشاف علاقات جديدة فيما يقع عليه ، لم يسبق لأحد أن اكتشفها ، أو على الأقل يكون هو شخصيًا مكتشفها بنفسه ولنفسه ، حتى ولو كان غيره قد اكتشفها قبل ذلك .

ثالثًا ـ النظرة المستقبلية : والشخص الذكى يتمتع بقدرة تنبئية استشفافية بما سوف يحمله المستقبل من أحداث أو تطورات . فكلما كان أعلى ذكاء ، فإن هذه القدرة الاستشفافية تكون لديه على جانب كبير من القوة والفاعلية .

الذكاء العلاقى :

وهذا النوع من الذكاء ينصب على العلاقات الاجتماعية التى تقوم بين المرء وبين الآخرين ، وهو يتضمن مجموعة من الجوانب التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً ـ إقامة علاقات جديدة : فالشخص المتمتع بهذا النوع من الذكاء ، يستطيع أن يقيم علاقات بينه وبين الآخرين بالطريقة التى تناسبهم ، والتى تجعلهم يقبلون على إقامة تلك العلاقات معه .

ثانيًا ـ تقوية علاقات قائمة بالفعل : والشخص المتمتع بهذا النوع من الذكاء العلاقى ، يستطيع أن يعمل على تقوية بعض العلاقات القائمة بالفعل بينه وبين بعض الأشخاص . وهو فى الغالب يتطلّع إلى المستقبل فيكتشف ضرورة أن تكون علاقاته قوية بينه وبين أشخاص معينين تقوم بينه وبينهم علاقات ، ولكنها ليست بالدرجة من القوة التى تسهّل العمل وقضاء المصالح المشتركة بينه وبينهم ، فيعمد إلى تقويتها قبل أن يأتى الوقت الذى يتعامل معهم فيه بإزاء تلك المصالح المشتركة .

ثالثًا ـ فصم عرى علاقات قائمة : وصاحب هذا النوع من الذكاء العلاقى يستطيع أن يهدم علاقات قائمة بالفعل بينه وبين بعض الأشخاص ، وهى العلاقات التى لا يرى جدوى من ورائها ، أو أنها علاقات سوف تضر بسمعته أو مصالحه . فهو يعمل على القضاء على تلك العلاقات دون أن يجر هذا وراءه أى ضرر يحيق به أو يؤدى إلى تقويض مصالحه أو إلى إحداث ضرر بسمعته .

الذكاء الأدائى :

نقصد بالأداء جميع الأنشطة التى يمارسها المرء فى الواقع العملى . والواقع أن هذا النوع من الذكاء يتضمن مجموعة من الأداءات التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً ـ اكتساب بعض المهارات الحركية : فالشخص المتمتع بهذا النوع من الذكاء ، يتسنى له اكتساب مجموعة دقيقة ومفيدة من المهارات الحركية بسرعة من جهة ، وبإتقان من جهة أخرى . وهو لا يكتسب تلك المهارات الحركية لذاتها ، بل يكتسبها لكى يوظّفها لتحقيق أهداف معينة تعود عليه بالسرور والفائدة .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثانيًا ـ تشغيل الأجهزة الدقيقة : وصاحب هذا النوع من الذكاء يكون قمينًا بتشغيل الأجهزة الإلكترونية الدقيقة بإتقان ومهارة ، ولاشك أن التمكن من تشغيل الأجهزة التكنولوجية المتطوّرة ، يسمح للمرء بإنجاز الكثير من الأعمال بطريقة متقنة . ولك أن تقارن بين مؤلف يستخدم القلم فيما يقوم بتأليفه ، وبين مؤلف آخر يستخدم الكومبيوتر فى تدبيجه لمؤلفاته .

ثالثًا ـ إصلاح الأعطاب : وصاحب هذا النوع من الذكاء يكون خليقًا باكتساب القدرة على إصلاح الأعطاب المتباينة التى قد تصيب الأجهزة والأدوات التى يستخدمها ، وأكثر من هذا فإنه يبتكر وسائل جديدة غير مسبوقة يستخدمها فى إصلاحها .

الذكاء المستقبلى :

إننا نقصد بالذكاء المستقبلى مجموعة من المعانى التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولًا ـ الامتداد بالحاضر إلى المستقبل : فصاحب هذا النوع من الذكاء يستطيع أن يستنطق الأحداث والوقائع الراهنة بحيث يمتد بأفقه الذهنى إلى المتوقع حدوثه فى المستقبل القريب والمستقبل البعيد على السواء . وكلما كان المرء أعلى مستوى بإزاء هذا النوع من الذكاء ، فإنه يكون بالتالى أكثر قدرة على الامتداد ببصيرته إلى مستقبل أكثر بعدًا عما يتسنى للأشخاص الذين لم يوهبوا مثل ذلك المستوى من الذكاء المستقبلى .

ثانيًا ـ النظرة المتكاملة إلى الزمان والمكان : فصاحب هذا النوع من الذكاء يستطيع أن يُحْدث تفاعلًا ذهنيًا بين الزمان والمكان ، ويخرج من ذلك التفاعل بمنطق يُخضع له الأحداث والوقائع. فهو بهذا التفاعل يكون مسيطرًا بذهنه على الواقع المحسوس ولا يفصل بينه وبين الزمان والمكان المستقبليين ، أو قل إن الزمان بأضلاعه الثلاثة ،

أعنى الماضى والحاضر والمستقبل يصير متفاعلًا مع الواقع المحسوس ، فيتسنى للمرء الحائز على هذا النوع من الذكاء الوقوع على ما سوف يحدث فى المستقبل .

ثالثًا ـ التحكم فى المتوقّع حدوثه فى المستقبل : وصاحب هذا النوع من الذكاء لا يتوقف عند حدود المعرفة والاستشفاف بل يدخل فى نطاق المطوّرين للمستقبل . فهو لا يقف متفرجًا على ما سوف يحدث ، بل يلعب دورًا إيجابيًا بالتعديل والتنقيح والتكثيف والتخفيف والحذف والإضافة إلى ما يستشف حدوثه فى المستقبل . فهو يشكّل من تنبئه بالمستقبل أدوات تطويرية تهذيبية وإصلاحية .

ولسنا نزعم أن الشخص الواحد يمكن أن يتمتع بالمستوى نفسه من الذكاء المتعلق بهذه الأنواع الخمسة من الذكاء التى عرضنا لها . فالواقع أن لدى كل الناس نسبًا معينة من هذه الأنواع الخمسة من الذكاء . وكلما كان نصيب المرء من نوع أو أكثر منه كبيرًا ؛ فإنه يكون بالتالى أكثر تمتعًا بمستوى فكرى أكبر .

ومن المشكلات التى عرض لها علماء النفس مشكلة الوراثة والبيئة بالنسبة للذكاء . فهل الذكاء موروث أم مكتسب ؟ إننا نعتقد أن المرء يرث الاستعداد الذى يمكن استثماره عن طريق التفاعل مع البيئة من جهة ، بينما يمكن أن يظل ذلك الاستعداد فى حالة كمون من جهة أخرى . فإذا ما استثمره المرء وقام بتوظيفه ؛ فإن ذلك يعنى الارتقاء بفكره واتساع أفقه الذهنى . ومعنى هذا أن لدى الكثير من الناس استعدادات عقلية عظيمة ، ولكنهم يظلون فى حالة عَماء عقلى ، ويظل فكرهم فى حالة كمون .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثامن

الوجدان والفكر

الوجدان هو طاقة الفكر :

نستطيع تشبيه الوجدان بالغاز الطبيعى . فكما أن هذا الغاز ينبثق من باطن الأرض ، كذا فإن الوجدان ينبثق من القوام البيولوجى ، أو بالأحرى من القوام العصبى لدى الإنسان . وكما أن ذلك الغاز يقوم بتشغيل المحركات ، كذا فإن الوجدان هو المسئول عن مد الأجهزة المختلفة بالجسم بالطاقة التى تعمل بها وتمارس أنشطتها بوساطتها . وتقع رأس الإنسان بما يتضمنه من مخ مسئول عن الفكر فى قمة تلك الأجهزة التى يُستغل الوجدان فى تشغيلها .

ومعنى هذا أنه بغير الوجدان ، فإن الفكر يتوقف عن العمل . فلابد من مد المخ بالطاقة الوجدانية اللازمة لتشغيله . وواضح أن ذلك التشغيل يتم بطريقة لا شعورية ، أى أن المرء لا يستطيع أن يدرك بوعيه الدور الذى تقوم به هذه الطاقة الوجدانية فى تشغيل مخه ، وبالتالى فى دفع عقله للعمل ، ولكن المدقق يستطيع أن يدرك أنه عندما يصاب بالتعب أو الجوع أو العطش ، أو إذا أصيب جسمه بألم ، أو إذا حرم من النوم لفترة طويلة ؛ فإنه لا يستطيع عندئذ أن يفكر بطريقة سليمة ، بل يجد أن مخه يركن إلى الكسل ويكاد يتوقف عن العمل تمامًا ، وإن دل هذا على شىء ، فإنما يدل على أن الطاقة الوجدانية المنبثقة من الطاقة الحيوية قد نضبت ، وبالتالى فإن المخ

وما يتبعه من أجهزة ، تعجز جميعًا عن مواصلة عملها الذى تضطلع به عندما يكون المرء فى حالة جسمية سوية . ويتضح من هذا مدى الارتباط فيما بين الفكر والحالة الجسمية بصفة عامة .

ولعلنا نقوم بتحديد المعوّقات التى قد تعترض طريق الوجدان مما يؤدى إلى هبوط مستوى الفكر على النحو التالى :

أولاً ـ زيادة التدفق الوجدانى : فكما أن نقص الإمداد الوجدانى إلى المخ ، يؤدى إلى تعطل الفكر أو إفساده ، كذا فإن زيادة كمية الطاقة الوجدانية عن المطلوب لتشغيل المخ ، يؤدى إلى عرقلة عمله ، ويؤدى بالتالى إلى هبوط مستوى الفكر ، ويحدث هذا فى حالة الجيشان الوجدانى . فأنت قد تلاحظ أنك فى بعض الأحيان تفور وجدانيًا بغير سبب واضح يدعو لذلك ، والشىء نفسه يحدث لكثير من الناس وبخاصة الأطفال الصغار الذين ينفجرون فى البكاء أو الضحك بغير سبب خارجى يدعو لذلك . فالمرء عندما يمر فى حالة جيشان وجدانى ، سواء أكان هناك سبب موضوعى لذلك ، أم لغير ما سبب معروف ، فإنه لا يستطيع أن يفكر بطريقة سليمة .

ثانيًا ـ التشتت الوجدانى : وإذا كانت الطاقة الوجدانية مناسبة لتشغيل المخ ، ولكن المرء موزّع بين عدة موضوعات ، أو بين مجموعة من الأنشطة المتباينة ، فإن ذلك التوزّع أو التشتت يؤدى إلى عدم تركيز فكره ، وبالتالى فإن الطاقة الوجدانية التى تتوزّع على تلك الأعمال أو الأنشطة المتباينة ، لا تكفى لتشغيل الفكر فيها . وبالتالى فإن المرء يجد نفسه عاجزًا عن مواصلة تركيز ذهنه . وهذا يحدث لدى كثير من الطلبة الذين يوزّعون عواطفهم على أنشطة متباينة فى أثناء الاستذكار ، فيكون الواحد منهم جالسًا إلى مكتبه والكتاب مفتوح أمامه ، ويمرر عينيه على الكلام المطبوع ، ولكنه فى الوقت نفسه

Looloo
www.dvd4arab.com

يفكر فى مباراة لكرة القدم أو فى أحد أفلام الفيديو التى شاهدها ، فمثل هذا الطالب برغم جلوسه إلى المكتب ، فإن توزُّع فكره وتشتته يكون نتيجة لتوزُّع طاقته الوجدانية على أنشطة متباينة .

ثالثًا ـ المواقف المفاجئة : ومن عوامل تشتت الطاقة الوجدانية ، وما يترتب على ذلك من ضمور النشاط الفكرى لدى المرء ، ما قد يطرأ على حياته من مواقف مفاجئة ، تعمل على تشتت تلك الطاقة الوجدانية . من ذلك مثلاً سماع فرقعة مفاجئة ، أو تلقى خبر مثير ، أو غير ذلك من أحداث لم يكن المرء يتوقعها ، بينما كان مركزًا فكره فى عمل مهم . فالأحداث غير المتوقعة ، تعمل بلاشك على تشتت الطاقة الوجدانية التى كانت تدفع بالفكر إلى العمل بنظام وكفاءة .

الوجدان والإدراك الحسى :

سبق أن قلنا : إن الإدراك الحسى يتم بعد نقل التيارات العصبية من أى حاسة من الحواس الخمس ، إلى مركز الترجمة الخاص بها فى المخ ، حيث تتحول من كونها ذات طبيعة بيولوجية عصبية ، إلى صورة ذهنية عقلية . ولكننا قلنا أيضًا : إن الإدراك الحسى لا يتم إلا على أساس وجود خلفية معرفية يستند إليها . وهنا تنشأ مشكلة تتعلق بنقطة البداية ، أعنى اللحظة الأولى التى يتم فيها أول إدراك فى حياة المرء ، سواء أكان إدراكًا بصريًا أم إدراكًا سمعيًا أم غير ذلك من إدراكات تتعلق بالحواس الثلاث المتبقية . فكيف يتم إذن الإدراك فى تلك اللحظة ، بالرغم من عدم وجود خلفية معرفية سبق لذلك الوليد إحرازها ؟

إننا نستطيع اللجوء إلى الوراثة ، فنقول إن : الطفل الوليد وإن كان لا يحمل فى مخه معرفة متحققة ؛ فإنه يحمل مع ذلك شفرات معرفية

بالجينات . فالأجيال السالفة قد أورثت الوليد تلك الشفرات . ومعنى هذا أن الخبرات البشرية ، تستحيل إلى إمكانات وراثية كامنة ؛ فإذا ما تهيأ لها ما ينشّطها ويخرجها من حيز الكمون إلى حيز الواقع ، فإنها تستحيل إلى معرفة .

وهنا تلعب الطاقة الوجدانية الدور المهم فى تنشيط تلك الاستعدادات المعرفية الخيّرية . فهى الطاقة التى تدفع بتلك الشفرات من مجال الكمون ، إلى مجال الواقع الذهنى . وبتعبير آخر فإن ثمة تفاعلاً يحدث بين الطاقة العصبية المنقولة من الحواس إلى مركز الترجمة بالمخ ، وبين تلك الشفرات ، فتخرج من نطاقها الكامن وتترجم إلى معرفة . وبذا يصير لدى الوليد خلفية معرفية ، يسميها علماء النفس بالاستعداد لاكتساب الخبرات الإدراكية . ذلك أنه لولا حصول المرء على تلك الاستعدادات ، ما كان فى استطاعته إذن أن يكتسب مدركات حسية أيا كان نوعها .

ومما يؤكد ضرورة توافر الاستعدادات المعرفية التى فسّرناها بالشفرات المعرفية الكامنة وخروجها إلى حيز الواقع السلوكى ، أن الوليد البشرى يختلف عن الوليد المنتمى إلى أى نوع من أنواع الكائنات الحية الأخرى . فلو لم يكن هناك ما زعمناه بحق من وجود تلك الشفرات لدى الوليد ، لكان جميع المواليد بأى نوع من أنواع الكائنات الحية لا يختلفون من قريب أو من بعيد بعضهم عن بعض ، بل يكونون سواسية فيما يتعلق باكتساب المدركات الحسية . ولكن تميُّز المولود الإنسانى عن باقى المواليد الخاصة بالكائنات الحية الأخرى فيما يتعلق بالإمكانات العقلية الراقية ، يؤكد ما قلناه .

وبناء على هذا فإن الطاقة الوجدانية التى قلنا : إنها بمثابة الوقود اللازم لقيام المرء بأى نشاط أيًا كان ، هى التى تلعب دور المنشّط فى

www.dvd4arab.com

العمليات الإدراكية المتباينة . فهى المسئولة عن إضفاء الحيوية على تلك الشفرات ؛ لكى تخرج من نطاق الكمون إلى نطاق الواقع ، كما أنها المسئولة عن القيام بتلك التفاعلات التى تقع فيما بين الطاقة العصبية المنقولة من أى حاسة من الحواس الخمس ، وبين مركز الترجمة الخاص بها ، فتستحيل من كونها تيارًا عصبيًا بيولوجيًا ، إلى صور ذهنية إدراكية .

الوجدان والذاكرة :

كما قلنا بإزاء العلاقة بين الوجدان والإدراك ، فإننا نقول أيضًا : إن الوجدان هو الطاقة التى تدفع بالذكريات من نطاق الذاكرة السلبية الكامنة ، إلى نطاق الذاكرة الإيجابية النشيطة . وبتعبير آخر فإننا نقول : إن هناك ذاكرتين : إحداهما بمثابة مخزن ترقد به الذكريات ، والثانية بمثابة مصنع زاخر بالحركة والنشاط .

وهناك مهمتان يقوم بهما الوجدان بإزاء المخزونات التذكرية : المهمة الأولى هى تلك التى ذكرناها ، والتى تتمثل فى تنشيط الذكريات الكامنة ، والخروج بها إلى نطاق الواقع التذكُرى . أما المهمة الثانية ، فهى مهمة كَبْتية . ذلك أن الذكريات التى تهدد الكيان النفسى للمرء ، لابد أن تحتجب عن مجاله الواعى . ذلك أن المرء إذا ظل واعيًا ومركزًا ذهنه فى كل ما سبق أن ترسَّب فى ذاكرته الكامنة من وقائع وأحداث غير سارة ، فإن ذلك ربما يدفع به إلى الجنون أو إلى الانتحار .

الوجدان والخيال :

لا يقل الدور الذى يلعبه الوجدان فى النشاط الذى يضطلع به الخيال عن الأدوار التى يلعبها فى جميع الأنشطة الأخرى التى

يضطلع بها المرء . ولعلنا نقوم فيما يلى باستعراض الوظائف التى يؤديها الوجدان فى نطاق الخيال :

أولاً - بالنسبة لتصنيع الأخيلة : فالوجدان يُشكِّل الطاقة التى يتذرع بها الخيال فى تصنيع الأخيلة من المدركات والذكريات اللتين تعتبران فى هذه الحالة بمثابة خامتين تخضعان للتصنيع . فبغير اعتمال تلك الطاقة الوجدانية فى المخيلة ، لما تسنى لها إذن أن تضطلع بمهمتها بإزاء تلك العملية التصنيعية .

ثانيًا - بالنسبة للتعبير عن الأخيلة التى تمت صناعتها : فالواقع إن تصنيع الأخيلة التى تقوم به المخيلة ، ليس نهاية المطاف ، بل لابد من إلباسها بصيغ كلامية منطوقة أو مكتوبة . فالخيال بعد ميلاده ، يكون كالوليد الذى لا يحمل هويَّة فى قوامه ، ولكن الوالدين وأقاربه يُضفون عليه تلك الهوية ، وذلك بأن يطلقوا عليه اسمًا ، ويكسبوه أوصافًا معينة يعرف بها ويتميز من غيره من أشخاص . كذا الحال بالنسبة للأخيلة التى يتم تصنيعها بوساطة المخيلة . فما إن تولد فى الذهن حتى يقوم الوجدان بتنشيطها والدفع بها إلى تعيين هوية كل خيال منها .

ثالثًا - إقامة علاقات بين الأخيلة وبين الواقع : وبعد أن يتم إضفاء هوية معينة على كل خيال من الأخيلة التى يتم تصنيعها ، فإن المهمة التالية تتمثل فى إقامة علاقات فيما بين الأخيلة بعضها وبعض ، وفيما بينها وبين الوقائع التى تحدث أو التى حدثت أو التى يتوقع لها أن تحدث . ولا يتسنى إقامة تلك العلاقات إلا بفضل اعتمال الطاقة الوجدانية فى قوام تلك الأخيلة ، بل وفى قوام ذهن المرء ككل .

Looloo
www.dvd4arab.com
(م ـ أدبيات ـ سيكولوجية الفكر)

الوجدان والإبداع :

إن التفسير البديهى للإبداع ، أنه الثمرة التى تتأتى نتيجة التفاعلات الخبرية التى تتم فى قوام الشخص المبدع . فالمدركات الحسية ، والذكريات المختزنة بالذاكرة ، والأخيلة والتصورات أو المفاهيم المجردة ، تعتبر بمثابة العناصر أو المركبات التى تتفاعل فيما بينها ، فيتأتى عن تفاعلها مركبات أكثر تراكبًا وتعقيدًا . ولا يكون على الشخص المبدع إلا أن يقوم بالترجمة عن تلك المركبات التى تأتت نتيجة تلك التفاعلات الخبرية ، سواء بالكلمة المنطوقة ، أم بالكلمة المكتوبة ، أم بالرموز ، أم بالتشكيل والتجسيد ، أم بغير ذلك من وسائل يتم بواسطتها الترجمة إلى شكل من أشكال الواقع .

ولا يعزب عن البال أن استخدام تلك المقوّمات فى العمليات التركيبية لا يتأتى للذهن إلا بإعمال الطاقة الوجدانية . ذلك أن المبدع يتعشق بعواطفه عمله الإبداعى المجهول . فهو يقوم لا شعوريًا ببلورة طاقته الوجدانية حول تلك المدركات الحسية والذكريات والأخيلة والتصورات أو المفاهيم التى يقوم بعمل مركبات فيما بينها ، بل إنه يبلور طاقته الوجدانية أيضًا حول ما ينتج فى ذهنه من مركبات إبداعية جديدة . فمما لاشك فيه أن المبدع يتعشّق نتاجاته الإبداعية ويحيطها بكل حب واعتزاز .

وخلاصة القول : إن الوجدان يلعب دورًا أساسيًا فى الأنشطة الذهنية التى عرضنا لها جميعًا . ولكن هناك بعض المعوّقات التى تعترض طريق الوجدان بإزاء ما كان يجب أن يضطلع به فى تلك العمليات الذهنية التى نقوم باستعراضها على النحو التالى :

أولاً ـ العقد النفسية : وهى تلك الركامات النفسية الوجدانية التى أشار إليها فرويد ، والتى تحُول بين المرء وبين ممارسة أنشطته المتباينة ، ومن بينها الأنشطة الذهنية .

ثانيًا ـ الإرهاق العصبى : فالشخص المرهق عصبيًا ، لا يستطيع أن يضطلع ببعض الأنشطة الذهنية التى عرضنا لها قبلا . وشاهد ذلك أن الطالب الذى يسهر ليلة الامتحان ، قد لا يستطيع إدراك بعض الأسئلة التى وردت بورقة الأسئلة برغم أنه يقوم بقراءتها .

ثالثًا ـ سيطرة الخوف على قلب المرء : فالشخص الخائف لا يستطيع أن يوفر الفرصة السانحة لاعتمال وجدانه فى الواقع الموضوعى الموجود أمامه ، كما أن ذاكرته تخونه فلا يتذكر ما يحتاج إلى تذكُره ، كما أن خياله ينضب ، وبالتالى فإنه لا يستطيع أن يبدع جديدًا بأى حال من الأحوال .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل التاسع
علاقة الإيحاء والتقليد بالفكر

تلقائية الإيحاء والتقليد :

من أهم السمات التى يتسم بها كل من الإيحاء والتقليد ، هى سمة التلقائية ؛ ذلك أن الإنسان مجبول على أن يتقبل الإيحاءات من الآخرين ، وأن يقلدهم دون قصد من جانبه . ومعنى هذا أن الإيحاء والتقليد غريزة مفطورة فى قوام الإنسان . والواقع أن الإيحاء والتقليد صنوان مرتبطان بعضهما ببعض . ومن الممكن أن نترجم الواحد منهما إلى الآخر . فالإيحاء هو تقليد ذهنى ، كما أن التقليد هو إيحاء حركى .

ومما لاشك فيه أن هاتين السمتين تلعبان دورًا خطيرًا للغاية فى تشكيل شخصية المرء . ومن المعروف أن الطفولة أكثر قابلية للإيحاء والتقليد من المراهقة ، وأن المراهقة أكثر قابلية لهما من الطفولة ، وأن المراهقة أكثر قابية لهما من الشباب ، وأن الشباب أكثر قابلية لهما من الكهولة (فيما بين ٣٠ و٥٠ سنة) ، وأن الكهولة أكثر قابلية لهما من الشيخوخة .

وواضح أن المرء فى مراحل عمره المبكرة ، يكون أكثر حاجة إلى التلقى عن غيره ، عما يكون عليه حاله فى مراحل عمره المتأخرة . ولكن هناك فروقًا فردية من شخص لآخر فى مدى تقبل الإيحاء والتقليد . فهناك من هم شديدو القابلية لذلك ، كما أن هناك من

تكون هذه القابلية ضعيفة لديهم . ولعلنا نزعم بحق أن الشخص الذى لا يكون قابلاً لتقبل الإيحاء والتقليد إلى حد بعيد عبر مراحل عمره ، إنما يكون بالتالى غير قابل للتعلم ؛ ذلك أن اكتساب أى خبرة أيًا كانت ، يعتمد على مدى خصوبة هذه القابلية .

ومن الممكن تعريف الإيحاء والتقليد بأنهما القابلية لاكتساب الخبرة ؛ وذلك عن طريق استشفافها من شخص أو أكثر بتلقائية ، وبطريقة شبه لا شعورية . ولا يقتصر الإيحاء والتقليد على النطاق العقلانى ، بل يمتدان ؛ ليشملا أيضًا النطاق الوجدانى والنطاق الحركى الأدائى . ويرجع الفضل إلى الإيحاء والتقليد فى نقل القيم والمعتقدات من جيل لآخر ، ومن الكبار إلى الصغار ، بل وبين المستويات العمرية الواحدة بعضها إلى بعض .

الرسالة الفردية :

من الممكن أن يعتمل الإيحاء والتقليد بين شخص وشخص آخر ، كما يمكن أن يعتملا بين شخص ومجموعة ، وأيضًا بين مجموعة ومجموعة أخرى . فبالنسبة للإيحاء والتقليد الفرديين . فإن هناك مجموعة من الشروط التى يعتمد عليها نقلها من شخص لآخر لعلنا نقوم بتقديمها على النحو التالى :

أولاً ـ الكبَر والصِّغَر : فلكى يحدث الإيحاء والتقليد ، لابد أن يكون أحد الشخصين أكبر من الشخص الآخر الذى يتلقى الإيحاء ويقوم بالتقليد . بيد أن الكبَر والصِّغَر لا يقتصران على المعنى العمرى ، بل يشملان عدة زوايا أهمها مستوى الخبرة المنقولة ، وعوامل الانبهار التى تؤثر فى نفس المتلقى كالشهرة والمكانة الاجتماعية ،أو العلمية ، وإحراز الثروة والجمال . فهذه العوامل المساعدة

Looloo
www.dvd4arab.com

تهيئ الجو النفسى لدى المتلقى للإيحاء والتقليد ؛ فيصير خاضعًا نفسيًا لمن يمتلك مقومًا أو أكثر من تلك المقومات المساعدة .

ثانيًا ـ المناخ النفسى : فالإيحاء والتقليد لا يحدثان إلا فى ظل مناخ نفسى معين . وأهم شرط فى هذا المناخ النفسى الإعجاب بالشخص الذى ينقل عنه الايحاء والتقليد ، وتركيز الذهن فى الجانب أو الجوانب التى تُستوحى وتقلّد ، وأيضًا الشعور بالنقص بإزاء الجانب أو الجوانب التى يتم تقبل الإيحاء والتقليد بإزائها .

ثالثًا ـ التهويم : فهناك حالة نفسية تقع فيما بين اليقظة والنعاس تسمى التهويم **Drowsiness** . فلقد يكون المرء جالسًا وسط جماعة من الناس وهو يقظان ، ولكنه يأخذ فى الانخراط فى هذه الحالة ، حتى لقد تفوته ملاحظة بعض الأحداث أو الوقائع التى تحيط به . فهو يكون فى حالة سرحان . ولقد نقول : إن ما يسمى بالسرحان إن هو فى الواقع سوى ما نقصده بالتهويم . فالشخص الذى يسّرح يكون قد أخذ فى الانخراط فى التهويم . وهذه الحالة النفسية هى التى نمر بها قبل أن ننخرط فى النعاس بعد توجهنا إلى الفراش . ففى أثناء التهويم يكون المرء قابلاً لتقبل الإيحاء ، وأن يقوم بالتقليد سواء أكان تقليدًا ذهنيًا ، أم تقليدًا وجدانيًا ، أم تقليدًا حركيًا .

الرسالة الجمعية إلى فرد :

ونقصد بالرسالة الإيحائية التقليدية الجمعية ، ذلك الإيحاء أو التقليد اللذين يصدران من جماعة إلى شخص واحد . ومن الممكن تفسير هذه الرسالة الجمعية التى تنتقل من جماعة إلى شخص ما ، بمجموعة من التفسيرات ، التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً ـ الانتماءات الشخصية : فكل شخص لديه مجموعة من الانتماءات تتفاوت فى قوتها بعضها عن بعض ، ولا تظل بنفس القوة بغير تعديل أو تغيير . فالطفل الصغير يكون منتميًا إلى أسرته التى ولد بها ويتربى . وكلما أخذ ذلك الطفل فى النمو والتفتح على الحياة ، فإنه يأخذ فى توزيع طاقته الانتمائية ـ إذا صح التعبير ـ على جهات جديدة ، كالمدرسة والنادى مثلاً . وبعد أن يتزوج وقد نضج جنسيًا واجتماعيًا ؛ فإن انتماءه إلى أسرته الجديدة ، يربو فى الغالب عن انتمائه لأسرته الأم . والانتماء يعنى القابلية لتقبل الإيحاء والتقليد عن الجماعة التى ينتمى اليها المرء . ولكنه لا يكون مجرد مستقبل من تلك الأسرة الجديدة ، بل يكون مستقبلاً ومصدّرًا أيضًا . فهذه الجماعة التى ينتمى إليها تكون قابلة لتلقى الإيحاء عنه وتقليده فيما يذهب إليه من سلوك ، بيد أن مدى تأثر الجماعة بأحد أفرادها الذين ينتمون إليها ، يختلف باختلاف قوة الشخصية من عضو لآخر من أعضائها .

ثانيًا ـ الاحتواء المستمر والمكثّف : ومن العوامل الأساسية المؤثرة فى نقل الإيحاء والتقليد من الجماعة إلى أفرادها ، احتواؤها لهم باستمرار ، وعدم تدخل جماعة أو جماعات أخرى فى هذه العمليات الاحتوائية . فالشخص الذى لا يبرح قريته أو أسرته أو عشيرته ، ولا يخرج عن نطاقها ، يكون تلقيه للإيحاءات عنها وتقليده لفكرها ، وعواطفها ، وعاداتها وتقاليدها ، أكثر شمولاً بإزاء سلوكه من شخص آخر ينتقل من ذلك الإطار إلى أُطر اجتماعية أخرى ، فتتوزع وتتنوع الإيحاءات وألوان التقليد التى يكتسبها من تلك المصادر المتباينة .

ثالثًا ـ شمولية الإيحاء والتقليد : ومن الشروط التى تدّعم الإيحاء والتقليد الصادرين من جماعة إلى شخص ما ممن تحتويهم ، أن يُعطيا

Looloo
www.dvd4arab.com

جميع جوانب الشخصية . فالأسرة القديمة كانت أكثر تأثيرًا وأغزر إيحاءً لأولادها من الأسرة الحديثة . فهى كانت خليقة بتغطية جميع المطالب النفسية والعقلية والاقتصادية لأفرادها ، ومن ثمّ فإنها كانت تمثّل المصدر الوحيد الذى يستلهمونه ، ويقتفون خطاه ، ويأخذون عنه بالتقليد . ولكن بعد أن تقدمت الحضارة واستلبت المدرسة والمؤسسات الاجتماعية المتباينة ، الكثير من مطالب أبناء الأسرة ؛ فإنها صارت عندئذ عاجزة عن الوفاء بشرط شمولية الإيحاء والتقليد . وبالتالى فإن الرسالة الجمعية التى كانت تصدّرها إلى أبنائها ، قد صارت ضعيفة أو محصورة فى نطاق ضيق للغاية .

القهر الفكرى :

على الرغم من اعترافنا بأهمية الإيحاء والتقليد فى حياة المرء ، وأن لهما الفضل فى تشكيل شخصيته ، وفى الامتداد بخبراته خطوات حثيثة إلى الأمام ؛ فإننا ننعى عليهما إذا ما استحالا إلى قيدين يكبّلان الشخصية ، ويحولان دون استغلال الفكر . والواقع أن هناك مجموعة من الأعراض التى يتمثل فيها قهر الفكر بوساطة الإيحاء والتقليد نقوم باستعراضها على النحو التالى :

أولاً ـ العجز عن التمييز بين الغث والسمين : فمن أعراض القهر الفكرى ، إحالة المرء إلى ما يشبه الإسفنجة التى تمتص كل ما يحيط بها من سوائل ، دون تمييز أو تقييم لما يجب امتصاصه ، ولما يجب النأى عنه . فالشخص المقهور فكريًا يصير متقبلاً لكل ما يقع عليه ، فيتقبل الإيحاءات التى تصدر إليه بغير تمييز ، كما يقوم بتقليد ما يصادفه تقليدًا أعمى دون أن يفرّق بين الخطأ والصواب ، أو بين الخير والشر ، أو بين المفيد والضار ، أو بين الجميل والقبيح ، أو بين ما يناسبه ومالا يناسبه . فهو يتخذ الموقف التقبلى بعماء وعدم تبصر .

ثالثًا ـ الحرمان من التفاعلات الخبْرية : والشخصية المقهورة لا تستطيع أن تجرى فى قوامها تفاعلات خبْرية بين ما سبق لها تحصيله من خبرات ، وبين المؤثرات الخبْرية الجديدة ؛ ذلك أنها تفتقد الإنيّة أو الهوية الشخصية التى تُعتبر محور تلك التفاعلات الخبْرية . فهى بسبب خضوعها المطلق ، وقهرها تحت وطأة سطوة الآخرين الذين يُوحون لها بما يريدون ، ويحملونها على اقتفاء أثرهم ، وتقليدهم بطريقة عمياء ، فإنها تُحرم من نمو تلك الإنيّة أو الهوية فى قوامها ، والتالى فإنها لا تستطيع أن تضطلع بتلك التفاعلات الخبْرية التى تعد شرطًا جوهريًا من شروط بلْورة الشخصية وإنضاجها .

العصيان الفكرى :

وعلى عكس ما قلناه عن الشخصية المقهورة تحت وطأة الإيحاء والتقليد ؛ فإننا نجد الشخصية المتمتعة بالقدرة على العصيان الفكرى . ومن المؤكد أن التربية التى يتلقاها المرء منذ نعومة أظفاره ، هى التى تحدد ما إذا كانت شخصيته سوف تكون شخصية مقهورة تحت وطأة الايحاء والتقليد ، أم أنها سوف تكون متمتعة بالقدرة على العصيان الفكرى .

ولعلنا نقول : إن الشخصية المتمتعة بالعصيان الفكرى ، والتى لا تقبل الإيحاء بدون قيد أو شرط ، ولا تخضع لتقليد الآخرين تقليدًا أعمى ، تتسم بمجموعة من الخصائص التى نستطيع تحديدها على النحو التالى :

أولاً ـ التحرر من الضغوط الخارجية : فالشخصية السوية المتمتعة بالعصيان التقافى ، هى تلك الشخصية التى تلْقى عن نفسها

Looloo
www.dvd4arab.com

ما دأبت على الخضوع له من مؤثرات خارجية ، فبعد أن كان الشخص خاضعًا لما يقوله الوالدان أو المعلمون ؛ فإنه يأخذ فى غربلة ما يتلقاه عنهم من أفكار أو اتجاهات ، وما يلاحظه فى سلوكهم من تصرفات . فهو يتمتع ـ وقد نضج نفسيًا ـ بالقدرة على التمييز بين الصالح والطالح ، وبين الجيد والردىء ، وبين الجميل والقبيح ، وبين المناسب وغير المناسب . وبتعبير آخر فإن إرادته تتمتع بالاستقلال ؛ فتصدر أحكامه من ذات نفسه ، ولا تكون مجرد صدى لإرادات الآخرين .

ثانيًا ـ الوقوف على أرض صُلْبة : والشخصية المتمعة بالعصيان الفكرى ، تركز فى حياتها على خلفية خبْرية مكينة ، أو على أرض صُلْبة لا تميد من تحت قدميها . فالواقع أن العصيان الفكرى الذى نؤمن بأهميته ، لا يكون مجرد عناد أجوف لا طائل تحته ، بل يكون بمثابة ارتفاع القامة الثقافية لدى المرء . فهو ينبو عن الخضوع ، لا عن كراهية يحس بها نحو الآخرين الذين دأبوا على إخضاعه لما يرتئونه ؛ بل لأنه قد شب عن الطوق ، وصارت له شخصية مستقلة ترفض الإذعان والامتصاص الإيحائى النقْلى عن الآخرين ، وتقليدهم فيما يضربون فى إثره والسلوك وفْقه .

ثالثًا ـ تنوُّع المصادر الخبْرية : فالواقع أن العصيان الفكرى الذى تتمتع به الشخصية السوية الناضجة ، يكون ثمرة لخصوبة المصادر التى تتلقى عنها خبراتها الجديدة والمتجددة بصفة مستمرة . فالشخص الناجح يظل حبيس المصادر الخبرية القديمة الضيِّقة التى كان يتلقى

عنها ، ويخضع لتأثيرها فى قوامه الشخصى ، بل يصير منفتحًا على مصادر كثيرة تُقدم إليه الخيارات العديدة التى يتسنى له أن ينتقى بحرية من بينها . فهو يتخذ موقفًا إيجابيًا ، هو موقف من يقارن ويوازن ويقيِّم ، ثم يعمد بعد ذلك إلى الاختيار من بين الكثير مما يطرح أمام ناظريه من بدائل . فبعد أن كان أمامه خيار واحد يتلقاه من الشخص الذى كان مسيطرًا عليه قبل أن يتسنى له النضج ؛ فإنه قد صار يجد أمامه الكثير مما يستطيع أن يختار منه ، وينتقى ما يناسبه ، ويحظى بإعجابه ، ويجد فيه المبتغى الذى يملأ عليه فؤاده .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل العاشر

المهارات الحركية والفكر

لا غِنَى للمهارات الحركية عن الفكر :

من الخطأ الإعتقاد بأن المهارات الحركية يمكن أن تنفصل عن الفكر ، أو أن تعلُّمها مستقل عن اكتساب القدرة على الفكر ، أو أن الحرفى فى غنى عن توظيف فكره فيما يضطلع به من أعمال حرفية . والواقع أن النغمة الشائعة فى أذهان بعض الناس التى تذهب إلى أن المهارات الحرفية خلو من الفكر ، قد تأتت عن مجموعة من الأسباب التى نقدمها بإيجاز فيما يلى :

أولاً ـ ارتباط الحرف اليدوية بالأمية : فحيث إن معظم الحرفيين لم يلتحقوا بالمدرسة ، بل وجهوا إلى التلمذة الحرفية مباشرة ، فاكتسبوها بالإيحاء والتقليد المباشرين من أرباب الحرف ؛ فإن الاعتقاد قد ساد بأن الحرفى لا يُعْمل عقله فيما يؤديه من مهارات حركية تستلزمها حرفته .

ثانيًا ـ سيادة الثنائية القديمة : وهى الثنائية التى توارثتها الأجيال المتعاقبة والتى كان أكبر داعية لها أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق م) الذى شَبَّه العمل العقلى بالرأس ، والعمل اليدوى بالمعدة ، وأقام حاجزًا سميكًا بين المشتغلين بعقولهم وهم الفلاسفة ، وبين المشتغلين بأيديهم وهم العمال والفلاحون .

ثالثًا ـ الربط بين العمل اليدوى وبين السُخْرة والاضطهاد وتوقيع العقوبات : فعبر الأجيال المتعاقبة ، والنظرة إلى العمل اليدوى مُفْعمة بالاحتقار . فجميع المهام التى تستخدم فيها العضلات ، وتبذل فيها الطاقة البدنية ، توصف بأنها أعمال حقيرة ، أو أنها بمثابة عقوبات تُوقَع على من يقوم بها ، أو أنها تُوكل إلى سِفْلة القوم أو المستضعفين من الناس . فالعبيد يخدمون السادة الذين ينصرفون إما إلى اللهو ، وإما إلى الفكر والفن .

ولنا أن نتساءل : هل المهارات الحركية المتمثلة فى الحرف اليدوية بصفة خاصة ، تخلو من الفكر ؟ الواقع أن من يقول بذلك واهم ، وشاهد ذلك ما نقدمه من براهين على النحو التالى :

أولاً ـ إن الإيحاء والتقليد من صميم الفكر : فعلى الرغم من أن الإيحاء والتقليد يتصفان بالعمومية ، ابتداء من أبسط المواقف التعلُّمية حتى أكثرها تعقُّدًا ؛ فإن من الخطأ فصلهما عن الفكر . فحتى العمليات الذهنية التى تتم بغير وعى كامل ، أو التى تمارس بعد اكتسابها على مستوى شبه لا شعورى ، فإنها تظل مستندة إلى الفكر . وبتعبير آخر فإن العمليات الذهنية ، سواء أكانت شعورية أم لا شعورية ، تلتحف بصميم الفكر . ولقد كان لفرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) الفضل فى إبراز هذه الحقيقة . أفليست الأحلام التى توانينا فى أثناء نومنا فكرًا ؟

ثانيًا ـ القدرة على التفكير فى غير حاجة إلى تعليم : فكما يقول ديكارت ، فإن الناس جميعًا يُفكرون ، وإن الفكر هو القسمة العادلة بين جميع بنى آدم . فمن الخطأ إذن القول بأن من لم يلتحق بمعاهد التعليم ، بل تعلم حرفة يدوية بشكل مباشر ، لا يفكر . فالتدرب العملى المباشر مرتبط ارتباطًا حميمًا بالفكر .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثالثًا ـ تركيز الذهن شرط لتعلم المهارات الحركية : فأى مهارة حركية ، لا يتسنى اكتسابها إلا إذا ركّز الشخص الذى يتدرب عليها فكره فيما تشتمل عليه من علاقات . فعلى الرغم من أن وسيلة تبادل الفكر بين المُدرب والمتدرّب تكون فى الغالب الكلام المنطوق، فإن عدم استخدام الكتب والكراسات والأقلام ، لا يعنى أن الصلة بينهما تكون خلوًا من الفكر . والخليق بنا ألا نقيم الوزن كل الوزن للكتب والكراسات والأقلام ، بل نقول : إن كل موقف تعليمى تعلُّمى يستلزم الوسائل المناسبة للاضطلاع به على خير وجه .

التطورات الحضارية والمهارات الحركية :

الواقع أن التطورات الحضارية تنهج وفْق متتالية هندسية تضاعفية على النحو التالى ١ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ ـ ٣٢ ـ ٦٤ إلخ . فإذا نظرنا إلى الفرق بين ١ ، ٢ لوجدناه واحدًا فقط . أما إذا نظرنا إلى الفرق بين ٣٢ ، ٦٤ ، فإننا نجده ٣٢ . وهذا ما حدث ويحدث وسيحدث فى التطورات الحضارية بما تشتمل عليه من علوم وتكنولوجيات متباينة .

وكلما تضاعفت التكنولوجيات ، تضاعفت معها المهارات الحركية . فالفلاح الذى كان يتعلم حرث الأرض بالمحراث الذى يجره هو أو يجره الثور ، صار فى حاجة إلى اكتساب مهارات يدوية دقيقة وكثيرة لدى تدرُّبه على استخدام المحراث الآلى . والمقاتل الذى كان يتدرب على استخدام السيف فى القتال ، صار اليوم يتدرب على استخدام آلات الحرب الإلكترونية .

وواضح أن نطاق الفكر كان ضيّقًا بإزاء التدرب على استخدام المحراث اليدوى أو السيف ، بينما صار ذلك النطاق واسعًا للغاية

بإزاء استخدام المحراث الآلى أو الأسلحة الإلكترونية المعقّدة للغاية . وأكثر من هذا فإن تعقُّد الحضارة وتضاعُف التكنولوجيا المستمر ، قد تطلّب ضرورة إعداد المرء بخلفية علمية وأدائية مكينة ؛ حتى يتسنى القيام بتدريبه ، بل إنه قد يكون بحاجة إلى تعلم لغة أجنبية أو أكثر قبل الشروع فى تدريبه على التكنولوجيات المتطورة ، بيد أن تلك الخلفيات المعرفية التى تسبق التدريب ، ينظر إليها باعتبارها وسائل وليست غايات .

فالتطورات الحضارية وتعقيد التكنولوجيات ، وما تواكب معها من تعقيد المهارات الحرفية ، قد عملت على تعميق الفكر ، وصارت مرتبطة به بوشائج مكينة . ولعلنا نقول : إن تلك التطورات قد عملت على قلب الآية . فبعد أن كانت النظرة التقليدية تؤمن بجعل الفكر غاية ، والمهارات الحركية وسيلة ، فإن الفكر صار هو الوسيلة ، بينما صارت المهارات الحركية هى الغاية . وبتعبير آخر فإن المهارات الحركية قد انتصرت فى المعركة التنافسية مع الفكر .

مخاصمة الفكر للمهارات الحركية :

الواقع أن الشخص الذى يتخلف عن المرحلة التطورية التى بلغتها الحضارة ، يتخلف عنها ، وتتركه وراءها مهملاً كالأشلاء الممزقة أو كالجثة الهامدة التى لا حياة فيها ، ولا قيمة لها . وينطبق هذا على من يتمسك بالنظرة القديمة إلى ثنائية الفكر والعمل اليدوى . فلقد ظل الناس يُميّزون بين من يعمل بالفكر ، ومن يعمل بيديه . ولكن الحضارة بتقدمها وما حدث من تدفق مذهل فى التكنولوجيات المتباينة ، قد هدمت ذلك السور القائم بين الفكر والأداء ، بل قل . إن التلاحم أو التفاعل قد حدث بينهما ، فلم تعد المهارات الحركية منفصلة عن الفكر ، كما لم يعد الفكر منفصلاً عن المهارات الحركية .

Looloo
www.dvd4arab.com

بيد أن القارئ ربما يعترض على ما نقوله هنا ، من أن الفكر لم يَعُد منفصلاً عن المهارات الحركية . ولكننا نُذكِّره بالتطورات التى حدثت فى وسائل التعبير التى يستخدمها اليوم المفكرون من صحفيين وكُتَّاب . فلقد بطل استخدام القلم ، وحل محله استخدام الآلة الكاتبة ، ثم بطل استخدام الآلة الكاتبة ، وحل محلها استخدام الكومبيوتر . ولاشك أن المفكر الذى لا يزال يستخدم القلم فى التعبير عن خلجاته ، ولم يلاحق التطورات التى حدثت بإزاء وسائل التعبير عن الفكر ، قد تخلَّف عن ركب المفكرين الذين يتمتعون باستخدام التكنولوجيا الحديثة المتمثلة فى الكومبيوتر ، وما يتضمنه استخدامه من إمكانات رهيبة حقًّا ، ومن دقة متناهية . ولك أن تقارن بين صحفى لا يزال يستخدم القلم والورق فى متابعة المؤتمرات الصحفية التى تعقد لرؤساء الدول وغيرهم من ساسة ، وبين صحفى يستخدم الكومبيوتر الاختزالى . ونحن نسوق هذا للتدليل على أن الفكر لم يعد منفصلاً عن المهارات الحركية التى تسانده وتدعمه وتتطور به ، وتساعد على تجسيده بسرعة مذهلة وبدقة متناهية .

المهارات الحركية فى الإنتاج الفكرى :

والواقع أن المهارات الحركية التى يستخدمها المفكرون قديمة قدم الفكر نفسه ، ولكن المكانة التى كانت تحتلها تلك المهارات ، ثانوية للغاية . صحيح أن الأدباء قديمًا كانوا يتباهون بما فى مُكْنتهم من خط رشيق ، ولكن الخطاط لم يكن يجرؤ على اعتبار نفسه فى موقع أعظم من الموقع الذى يحتله المفكر المبدع . فالإبداع فى مجال الخط كان محدودًا للغاية ، أو قل : إن التجويد وليس الإبداع هو الذى كان السائد بين الخطاطين .

ولكن مع التطورات الحضارية المتضاعفة ، صارت الوسيلة المتمثلة فى المهارات الحركية ، تحتل مكان الصدارة ، بل إن المفكر المتمكن من تلك المهارات الحركية ، صار يتربع على قمة المجد الفكرى . فالمهندس الذى يستخدم الكومبيوتر فى تصميم العمارة ، أفضل مليون مرة من زميله الذى لا يزال يقْضى الليالى مُنْكبًا على أفرخ الورق يخطط بأقلامه عليها . والمحاسب الذى يستخدم الآلة الحاسبة أو الحاسب الإلكترونى (الكومبيوتر) فى إعداد الميزانية أو فى مراجعة حسابات إحدى الشركات ، يبز زميله الذى ينكب على المسودَّات يجمع ويطرح ويضرب ويقسم . والمؤلف الذى يعبر عن أفكاره بالكتابة المباشرة على الكومبيوتر ، وقد تدرَّب على استخدام لوحة الحروف بطريقة اللمس ، وتمكَّن من التحكم فى إمكانات تلك الآلة الإلكترونية الدقيقة ، لابد أن يحتل مكانة مرموقة ، سواء بإزاء ما ينتجه من فكر ، أم فيما يتعلق بالشكل النهائى الذى يقدم به مؤلفاته إلى المطبعة ، بعد أن تكون قد خضعت للمراجعة السهلة ، والإخراج الرائع . وحتى بالنسبة لمجال الطب ، فإن الطبيب الذى يأخذ بآخر الصيحات التكنولوجية فى مجال الكشف والعلاج ، فيتمكن من الممارسات الحديثة ، سواء باستخدام أشعة الليزر أم بإجراء الجراحات الدقيقة بالوسائل التى استحدثت ، بغير ما حاجة إلى المشارط ، لهو أفضل من الجراح التقليدى . وطبيب الأسنان الذى يستخدم التنويم المغنطيسى فى جراحات الأسنان ، وقد استغنى بذلك عن استخدام البنج ، ناهيك عن دعم عيادته بالأجهزة الإلكترونية المتطورة ، وقد دأب على مسايرة التطورات أولاً بأول دون تقاعس ، إنما يكون طبيبًا يشار إليه بالبنان ، ويتفوق على زميله المتقاعس الذى لا يعمد إلى تطوير مهاراته الحركية فى مجال عمله الطبى .

Looloo
www.dvd4arab.com

تساوق المهارات الحركية مع المهارات العقلية :

كثيرًا ما ينظر إلى النشاط العقلى الذى يمارسه المفكرون ، فى انفصال عن مفهوم المهارة . فلكأن اكتساب المهارة الذهنية يهبط بمستوى الفكر ؛ ذلك أن المهارة الذهنية شأنها شأن المهارة الحركية ، من حيث إنها عادة يتم اكتسابها عن قصد ، ونتيجة للخضوع لعمليات تدريبية معينة . ولكن الواقع أن الأعمال العقلية العظيمة ، كانت مجرد ثمار للتمكن من تلك المهارات العقلية .

وفى ظل التقدم الحضارى التكنولوجى ، فإن المهارات الذهنية قد تساوقت مع المهارات الحركية ، وأكثر من هذا لم يعُد هناك انفصام فيما بين المهارات الذهنية والمهارات الحركية ، بل حدثت تفاعلات فيما بينهما ، بحيث تأتّى عن ذلك الاضطلاع بتلك النتاجات العظيمة . وتتبدى تلك التفاعلات بين هذين النوعين من المهارات فيما يلى :

أولاً ـ انفتاح الطريق بين المهارتين : فالطريق مفتوح بين المهارات الحركية وبين المهارات الفكرية . فالطبيب الذى يقبل على استخدام أشعة الليزر فى استئصال ورم سرطانى ، يكون قد أقام رابطة قوية ، ومحدثًا تفاعلاً كاملاً ، فيما بين المهارات التى اكتسبها فى استخدام تلك الأشعة ، وبين المهارات الذهنية التى تتعلق بوسائل العمل الطبى . فليست هناك إذن ثنائية بالمعنى التقليدى ، بل إن التفاعل الذى حدث بين الوسيلة وبين الفكر ، قد أحال الثنائية التقليدية إلى واحدية تتمثل فيما يمارسه ذلك الطبيب فى استئصال الورم السرطانى باستخدام أشعة الليزر .

ثانيًا ـ عدم التقسيم إلى مرحلتين : فبعد أن كان النظام التعليمى التقليدى يقسم التعليم إلى مرحلتين : مرحلة نظرية ، تتلوها مرحلة

عملية تطبيقية ؛ فإن التعليم الحديث قد هدم الحاجز بين المرحلتين ، وجعلهما مرحلة واحدة يتكامل فيها النظر مع العمل ، أو النظرية مع التطبيق . وبتعبير آخر ، فإن التدريب قد حل محل التعليم . فبدلاً من تقديم الجانب النظرى خلال سنوات أو أشهر ، ثم يتلو ذلك الانخراط فى الممارسات العملية ، فإن التدريب الحالى ، صار يُزاوج بين الفكر والأداء فى الموقف التدريبى الواحد . تمامًا كما يحدث عندما يتوجه المرء إلى مدرب قيادة السيارات لتعلم فن القيادة ، أو عندما يُقبل على تعلم الدق على أزرار لوحة مفاتيح الكومبيوتر . فهو لا يتلقى المحاضرات الطويلة لبضعة أشهر ، ثم يجلس إلى عجلة قيادة السيارة ، أو إلى لوحة أزرار الكومبيوتر ، بل يزاوج بين تلقى الفكر من المدرب ، وتنفيذ الأوامر الأدائية التى يُصدرها إليه ابتداءً من اللقاء التدريبى الأول بينهما .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الحادى عشر
الإمكانات والفكر

الإمكانات الشخصية :

نقصد بالإمكانات الشخصية ، ذلك المستوى الخبرى الذى وصلت إليه الشخصية ؛ نتيجة اضطلاعها بالتفاعلات الخبرية التى تمت بينها وبين المؤثرات البيئية المحيطة بها من جهة ، ونتيجة تفاعل الحصائل الخبرية التى تكوّنت لديها بعضها مع بعض من جهة ثانية ، ونتيجة ما حصلت عليه نتيجة غزوها لآفاق معرفية متعددة الجبهات ، أعنى غزوها للآفاق الثقافية المتعلقة بأحداث الماضى والحاضر والمستقبل ، وللآفاق القريبة والبعيدة المتعلقة بالأماكن والبيئات المتباينة من جهة ثالثة ، وارتباط النشاط الثقافى للمرء بحالته النفسية والمزاجية التى على أساسها يحيا ويتعامل من جهة رابعة ، ومدى قدرته على التأثر والتأثير من جهة خامسة.

ففى ضوء هذه المقومات الخمسة نستطيع أن نحدد ما يعتمل لدى المرء من استعدادات للتفكير . فكلما كانت تلك الإمكانات مرتفعة المستوى ونشيطة ، كان الفكر أيضًا مرتفع المستوى وعميقًا . ولعلنا نحدد أثر تلك الإمكانات الشخصية فى فكر المرء على النحو التالى :

أولاً ـ اكتشاف المشكلات : فالواقع أن من لا يجابه أى مشكلة ، لا يستطيع أن يفكر بطريقة ناجعة . وبتعبير آخر فإن الفكر هو الشعور بوجود مشكلة . وهذا الشعور بالمشكلة يثير الدهشة أو الحيْرة ،

ومن ثمّ فإن الفكر يبدأ فى الاعتمال . وعندئذ يتراءى أمام ذهن المرء كثير أو قليل من الخيارات التى يظن أن واحدًا منها أو أكثر خليق بحل المشكلة ، فيأخذ فى المفاضلة بين الخيارات المطروحة أمامه . إلى أن يحْزم الرأى ، وينتهى إلى الوقوع على واحد منها ويأخذ به .

ثانيًا ـ اكتشاف الإمكانات الموضوعية : ولكى يتسنى التقدم بخطوات نحو حل المشكلة ، فلابد من الوقوف على الإمكانات الموضوعية التى يمكن أن تستخدم فى حل تلك المشكلة . وهنا تبدو أيضًا الخيارات الكثيرة أو القليلة المتاحة . ذلك أن الإمكانات الموضوعية لا تكون واضحة المعالم ، بل تكون ملتبسة بعضها ببعض ، أو متداخلة بعضها فى بعض . فلكى يتسنى تمييزها ، لابد من تبيُّنها بوضوح ، ومعرفة الخصائص التى يمتاز بها كل منها ، وما يمكن أن تشتمل عليه من عيوب . المهم أن المرء ينتهى من هذه الخطوة بأن يقع على خيار واحد من بين الخيارات المطروحة أمامه ، والمتعلقة بالإمكانات الموضوعية المتاحة .

ثالثًا ـ إجراء التجربة ثم تكرارها : فالمرء بعد أن ينتهى إلى خيار واحد من الخيارات الموضوعية المتاحة بالواقع الخارجى ، فإنه يأخذ فى تجربة ذلك الخيار الذى وقع عليه لعله يصلح لحل المشكلة . ولكنه قد لا يرضى بالنتائج التى يسفر عنها التجريب ، فيكرر التجربة من جديد مرة ومرات إلى أن ينتهى به المطاف إلى الحل الذى يرضى عنه . ولكن قد يكون رضاؤه فى بعض الحالات مؤقتًا ، وذلك لأن الحل الذى توصل إليه هو أفضل الحلول الممكنة ، برغم ما يشتمل عليه من نقائص أو عيوب . من هنا فإنه يقنع مؤقتًا بما توصّل إليه ، ولكنه يُبقى الباب مفتوحًا لما سوف يتوافر لديه من إمكانات موضوعية فى المستقبل فيقوم بتجريبها .

Looloo
www.dvd4arab.com

الإمكانات الشيئية :

من الحقائق التي نقف عليها في حياتنا اليومية ، أن ما نقع عليه من أشياء كثيرًا ما تُلهمنا بالأفكار النافعة ، أو بتلك الأفكار التي يكون لها تأثير بالغ في حياتنا . فلقد يكون منظر الدراجة الذي تقع عليه عينا أحد المراهقين ؛ باعثًا له على التفكير في القيام برحلة مع لفيف من أصدقائه ، فيركب كل واحد منهم دراجته إلى مكان معين حيث يقضون وقتًا ممتعًا . وقد تكون مشاهدته لبندقية صيد معروضة بأحد المحال التجارية ، باعثًا له على التفكير في شرائها ، والقيام برحلة صيد مع بعض أصدقائه . وقد يعمل العثور على بعض أفرخ الورق وبعض عُلب الألوان بالمصادفة في البيت ، على إثارة الرغبة في رسم بعض اللوحات الفنية كما حدث لفان جوخ .

وعلينا أن نقوم فيما يلي بالكشف عن العلاقة بين الأشياء المطروحة أمامنا خارج نطاقنا الشخصي وبين إثارة الفكر بدخيلتنا .

أولاً ـ إثارة ذكريات معينة : فلقد تكون مشاهدتنا لشيء ما ، أو سماعنا لنغمة معينة ، أو شمّنا لرائحة بالذات ، عاملا على استرجاع ذكريات معينة كنا قد نسيناها . فالشيء المحسوس يثير الذاكرة ، فيذكرنا بأحداث أو صور لأشخاص يرتبطون به .

ثانيًا ـ الانطباعات الوجدانية : فإلى جانب الذكريات العقلية التي تستثيرها الأشياء التي نقع عليها في الواقع الموضوعي ، هناك الخبرات الوجدانية التي ترسبت في قلوبنا تجاه تلك الأشياء . فالشيء الذي ندركه في الواقع الخارجي ، إما أن يكون له رصيد من الحب في قلوبنا ، وإما أن يكون له رصيد من الكراهية . فما نحبه نُقْبل عليه ، وما نكرهه ننبو عنه . فالتلميذ الذي حمل رصيدًا وجدانيًا من

الحب تجاه كتبه وكراساته وأقلامه ، يُقْبل عليها ، ولكن إذا كان يحمل رصيدًا من الكراهية تجاهها ، فإنه ينفر منها ، ويتحاشى تناولها واستخدامها .

ثالثًا ـ ما نتوقعه من فوائد أو مضار : فنحن عندما نقع على شيء ما في الخارج ، فإننا نُقيّمه في ضوء معيار الفائدة والضرر ، فنسائل أنفسنا عمّا يحتويه ذلك الشيء من قيمة مادية . ولكن هناك اعتبارات أخرى غير القيمة المادية نأخذها في اعتبارنا . فمثلا إذا عثر المرء على لفافة بها مخدرات ، فعلى الرغم من أنه يعرف أن تلك المخدرات ربما تقدّر بمبلغ كبير ، فإنه لا يُقْبل على التقاطها وبيعها أو استخدامها . فعلى الرغم من قيمتها المادية ، فإنها ضارة ، وقد تجلب على حاملها مسئوليات جنائية .

الإمكانات الاقتصادية :

لعلنا نقوم باستعراض ما يمكن أن يترتب على توافر الإمكانات الاقتصادية بين يدي المرء من انتعاش في الفكر على النحو التالي :

أولاً ـ الوقوف على الأحداث : فالواقع أن توافر الإمكانات الاقتصادية لدى المرء ، يسمح له بأن يمتلك الوسائل المقروءة المتمثلة في الجرائد والمجلات ، والوسائل المسموعة كالراديو وأشرطة الكاسيت ، والوسائل المرئية والمسموعة كأفلام الفيديو ، وبالتالي فإنه يستطيع أن يتابع ما يقع قريبًا منه وبعيدًا عنه من أحداث ، وما يترتب على تلك المتابعة من فكر .

ثانيًا ـ حيازة مصادر الثقافة : فالشخص الذي تكون في حوزته وفرة مالية يستطيع أن يحصل على أحدث المراجع المتعلقة بالمادة التي يبغي توسيع نطاق فكره فيها ، بالإضافة إلى مصادر المعلومات

Looloo
www.dvd4arab.com

الأخرى ، وبخاصة بنوك المعلومات ، وذلك عن طريق عمل التوصيلات اللاسلكية التى تربط بين الكومبيوتر الشخصى وبين تلك البنوك .

ثالثًا ـ القيام بالرحلات والجولات الثقافية : فالشخص الحائز على الإمكانات الاقتصادية التى تمكّنه من القيام بالرحلات إلى مختلف بقاع العالم ، وكذا القيام بالرحلات المحلية إلى المناطق الأثرية ، إنما تتسع آفاقه العقلية ، ويكون فكره مستنيرًا ومتفتحًا .

رابعًا ـ توافر إمكانات التصدير الثقافى : والشخص الذى لديه استعداد لتقديم الثمار الإيجابية التى تتأتى له نتيجة ما حصّله من معارف ، وما جناه من خبرات غزيرة ، لابد أن يكون حائزًا فى الوقت نفسه على الإمكانات الاقتصادية حتى يتسنى له امتلاك وسائل التعبير عن ثماره الخبرية التى تأتت له نتيجة التفاعلات الخبرية التى حدثت بدخيلته . من ذلك مثلاً شراؤه لكومبيوتر ومستلزمات تشغيله .

خامسًا ـ إيصال ثمار الفكر إلى الجماهير : وبعد أن يقوم صاحب الفكر بتقديم ثماره الخبرية على الورق ، أو على هيئة نماذج ؛ فإن عليه أن يتخذ الخطوة التالية المهمة ، وهى إيصال تلك الثمار الخبّرية إلى الجماهير ، وذلك إما على نفقته الخاصة ، وإما بالاستعانة بالمتخصصين فى ذلك كالناشرين بالنسبة للكتب ، وكالمقاولين بالنسبة للمبانى فى حالة تشييد العمائر ونحوها .

الإمكانات الثقافية :

هناك مجموعة من الإمكانات الثقافية التى تعمل على إثارة الفكر لدى المرء لعلنا نقوم باستعراضها على النحو التالى :

أولاً ـ الاتصالات الفردية والجمعية : فالواقع أن البنية الثقافية لدى المرء تتأتى له أول ما تتأتى عن طريق الاتصال المباشر بالآخرين ، سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات . والصلة المباشرة تقوم على أساس الكلام المتبادل من جهة ، وعلى أساس الإيحاء والتقليد من جهة أخرى . فالوليد لا يكون لديه فكر ، ولكن مع اتصاله المستمر بالبيئة الأسرية المحيطة به ، سواء بتقبل الإيحاءات وقيامه بتقليد المحيطين به ، أم بما يتبادله من مشاعر وبتعلمه الكلام ؛ فإن فكره يتفتق وينمو وينتعش . وكلما هيئت الفرص الخصبة له فى مراحل عمره التالية للقيام بالاتصالات الفردية والجمعية ، فإنه يستمر فى نموه الفكرى .

ثانيًا ـ القراءة والكتابة : ومن عوامل النمو الفكرى الأساسية والمهمة للغاية ، التمكّن من القراءة والكتابة . ولاشك أن التمكن من اللغة القومية ، بالإضافة إلى التمكن من لغة أجنبية أو أكثر ، لمن عوامل النمو الفكرى . ناهيك عن أن خصوبة القراءات فى المجالات المتباينة يجعل من القراءة والاطلاع عاملاً أساسيًا فى تحقيق النمو الثقافى ، وبخاصة إذا توازى الاستقبال المعرفى مع التصدير المعرفى .

ثالثًا ـ النَهل من التراث : فالتراث يتضمن الكنوز الخبّرية التى توصلت إليها الأجيال السابقة ، سواء أجيال أجدادنا القريبين والبعيدين ، أم أجيال الشعوب الأخرى عبْر التاريخ . ولكن من المستحيل أن يُلم أى شخص بكل أنحاء التراث أو بجميع التراثات المتباينة . من هنا تطلبت الضرورة قيام المرء بالاختيار من بين المقومات التراثية العديدة ما يناسبه ، وما يخدم أهدافه الثقافية .

Looloo
www.dvd4arab.com

الإمكانات العلائقية :

أشرنا قبل ذلك إلى أهمية العلاقات بالآخرين بإزاء تنمية الفكر لدى المرء . وعلينا فيما يلى أن نقوم باستعراض أهم جوانب الإمكانات العلائقية :

أولاً ـ العلاقات المباشرة والعلاقات غير المباشرة : فالمرء يتصل بأفراد أو بجماعات ، ويتعامل معهم بطريق مباشر من جهة ، كما أنه يتصل بطريق غير مباشر بشخص أو بجماعة عن طريق القراءة ، أو عن طريق مشاهدة الصور أو متابعة الأفلام السينمائية أو أفلام الفيديو من جهة أخرى . وقد تتصف الاتصالات بأنها غير مباشرة ، لا بسبب البعد المكانى ، بل بسبب البعد الزمانى . فنحن نقرأ عن محمد على الكبير مثلاً ، ولكننا لا نتصل به ؛ لأنه بعيد عنا زماناً .

ثانيًا ـ العلاقات بالأحباء والعلاقات بالأعداء : فالمرء بأى مجتمع تقوم بينه وبين بعض الأفراد أو الجماعات علاقات إيجابية ، تتمثل فى الحب المتبادل بينه وبينهم من جهة ، كما تقوم بينه وبين أفراد آخرين وجماعات أخرى علاقات سلبية تتمثل فى الكراهية المتبادلة بينه وبينهم من جهة أخرى . ولاشك أن تلك العلاقات جميعًا تثير فى ذهن المرء أفكارًا متباينة ، قد تتبلور فى هيئة خطط أو فلسفات حياتية ينهج وفقها ويسير فى هديها .

ثالثًا ـ العلاقات التعاونية والعلاقات التنافسية : والعلاقات التى تقوم بين المرء وبين غيره من أفراد أو جماعات ، قد تكون علاقات تعاون بينه وبينهم ، كما أنها قد تكون علاقات تنافس . على أن علاقات التعاون لا تتصف بالحب بالضرورة ، كما أن علاقات التنافس

لا تتصف بالكراهية بالضرورة . فلقد يتم التعاون مع أشخاص لا نراهم مباشرة كما يحدث بين الطيار وبين عمال المطار الذين يتعاونون معه فى توجيه الإشارات الضوئية نحوه ، مما يسهّل له الهبوط على أرض المطار . وكذا فإن علاقات التنافس لا تتضمن الكراهية بالضرورة ؛ لأن المرء قد يتنافس مع أحد أصدقائه فى ممارسة لعبة ما كالطاولة مثلاً . وفى جميع المواقف التى تتضمن التعاون والتنافس ، فإن الفكر ينتعش ، وربما يتفتق عن إبداعات أو عن مهارات يتفرّد بها المرء دون غيره من المشتركين معه فى تلك المواقف .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثانى عشر
التراث والفكر

التراث الدينى والفكر :

ليس من شك فى أن التراث الدينى نابض بالحياة ، ويشكّل مصدرًا مهمًّا من مصادر الفكر الإنسانى ؛ ذلك أنه يضطلع بمجموعة من الوظائف الجوهرية التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً ـ تغطية جميع جوانب الحياة : فالدين لا يتناول بعض جوانب حياة الفرد والجماعة ، بينما يهمل أو يتغاضى عن باقى الجوانب ، بل إنه يتسم بأنه جامع مانع ، بمعنى أنه لا يترك صغيرة أو كبيرة إلا وقد أخذها فى اعتباره ، كما أنه يستبعد من نطاقه ما يعود بالضرر أو يؤدى إلى الخطأ أو الضلال عن الخطوط التى يحددها للاستهداء بها ، والالتزام بمقوماتها .

ثانيًا ـ تشكيل نقط انطلاق للفكر : والدين ـ بما يشتمل عليه من قضايا ومبادىء وأفكار خصبة ومتباينة ـ يوفر الفرصة لإثارة الفكر . وبذا فإنه يقدم للمفكرين تغذية دسمة يتذرعون بها فيما يقدمونه من فلسفة وعلم وأدب وفن . وليس يعزب عن البال أن الفكر الفلسفى قد انطلق من الفكر الدينى عند اليونان منذ خمسة قرون قبل الميلاد ، وأن الكثير من العلماء قد تناولوا المضامين الدينية ، وعكفوا على مدارستها فى ضوء ما توافر بين أيديهم من شواهد وأفكار وقيم واتجاهات ، وأن الكثير جدًّا من الأدباء تناولوا الشخصيات الدينية ،

ونسجوا حولها من خيالهم قصصًا رائعة ، أو صوروها فى صياغات أدبية جديدة شائقة ، وأن الكثير من الفنانين اتخذوا من تلك الشخصيات الدينية موضوعات للوحاتهم الفنية ، أو تماثيلهم التى تنطق بالجمال ، أو ألحانهم الرائعة التى تهز المشاعر ، وتعزف على أوتار القلوب .

ثالثًا ـ تقديم الهداية للفكر : فلولا الدين ، لتخبّط الفكر وتشتت . فالفكر بحاجة إلى ما يقوم بتوجيهه نحو أهداف معينة . وبغير الدين ما كانت هناك إذن أهداف يصبو الفكر إلى الانتحاء إليها . ولعلنا نقول : إن الفكر والدين كانا حليفين منذ أن بزغت الحضارة الإنسانية إلى الوجود . فالكتب الدينية تحمل فكرًا ، أو هى نماذج للفكر من جهة ، ومثيرات للفكر من جهة أخرى . وحتى عندما يعلن بعض المفكرين ثورتهم ضد بعض الجوانب التى يتضمنها الدين ؛ فإنهم يدينون له بإثارة فكرهم . فلولا وجود الدين المسيحى مثلاً ، ما كان للمفكرين الخارجين عليه ، أن يوجدوا . فهم استخدموه كمنطلق لما أذاعوه من عصيان فكرى ، وقد أخذوا ينعمون النظر فى بعض قضاياه ، ومن ثَمَّ فإنهم تركوا بصماتهم الخاصة بهم بإزاء تلك القضايا .

التراث المعرفى والفكر :

على الرغم من أن التراث المعرفى خصب ومتنوّع للغاية ؛ فإنه مع ذلك يتصف بمجموعة من الخصائص التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً ـ الصبغة الشخصية لصاحب الفكر : فكل مفكر فى أى مجال بغير استثناء ، يرغب فى أن يكون فكره نسيجَ وحْدِه Sui Generis ، أو أن يكون غير مسبوق ، وحتى العلماء الذين يعملون فى فريق ، فإن كل واحد منهم يكون مسئولاً عن جانب معين فى نطاق الكل ،

Looloo
www.dvd4arab.com

ويرغب فى أن يتميز عن باقى زملائه ، بل ويمتاز عنهم فيما يتعلق بطريقته الخاصة فى تناول المسائل التى يعكف على دراستها ، وهذا مما يجعل من التراث المعرفى ثروة هائلة ، إذ أن من يهتم بدراسة مسألة ما ، يجد أن كل من تناولها بالتأمل والتفكير ، قد انتحى منحى أو مناحى خاصة به ، مباينة عن المناحى التى اتخذها المفكرون الآخرون الذين تعرضوا لتلك المسألة نفسها .

ثانيًا ـ تنوُّع المجالات المعرفية : ومن جهة ثانية ، فإن التراث يشتمل على العديد من المجالات المعرفية . وأكثر من هذا فإن هناك من المجالات ما يقوم المفكرون المعاصرون بطرق أبوابها على أساس أن القدماء قد برعوا فيها وسبروا أغوارها ، ولكن بسبب ظروف سياسية أو اجتماعية ؛ فإن الاستمرارية لم تتوافر لمن بعدهم ، فأُغلق باب البحث فيها ، وهى اليوم بحاجة إلى من يقوم باكتشافها من جديد ، والوقوف على آخر محطة بلغوها بإزائها ؛ حتى يتسنى لهم البدء من جديد فى مواصلة المسيرة التى توقفت ، وانقطعت بها السبل .

ثالثًا ـ التراث المعرفى نابض بالحياة : فعلى الرغم من أن التراث المعرفى لا يتمتع كله بالحيوية على المستوى نفسه ، فمما لاشك فيه أن أيًا من مقوماته لم يمُت ، بل نقول : إنه قد يكون فى حالة سبات ، إلى أن يُفيض له من يُوقظه من نومه ، فمن حسن الحظ أن التراث قد سُجِّل بالكتابة ، أو بالنقوش ، أو بالصور ، أو بالتماثيل ، أو بغير ذلك من وسائل التسجيل . فالحملة الفرنسية التى كشفت النقاب عن مغاليق اللغة الهيروغليفية ، قد أيقظت حضارة قدماء المصريين من سُبَاتها ، وجعلت منها ثقافة حاضرة . فالجوانب اليقْظانة من التراث تُشكِّل جانبًا ثقافيًا يتفاعل مع الجوانب الثقافية التى يضيفها المفكرون والعلماء ويقومون بإبداعها .

التراث الفنى والفكر :

من الخطأ الاعتقاد بأن الفن تعبير عن مجموعة من العواطف والانفعالات ، وأنه يخلو من الفكر . والواقع أن الفن هو فكر متفاعل مع الوجدان ، وليس وجدانًا فحسب . وعلى هذا فمن يتدارس الفنون أو يعكف على تأملها ، أو من يشارك فى المسيرة الفنية بأن يدلى بدلوه فيها ، إنما يكون مشاركًا فيما تتضمنه من فكر .

وهناك ثلاثة مواقف ينتحى إليها المقيّمون للفن التراثى . فالاتجاه الأول يقول : إن الفكر الذى يتضمنه التراث الفنى فكر ضحل لا يستحق التأمل وبذل الجهد فى تناوله بالتأمل والمدارسة . أما الاتجاه الثانى فإنه يذهب إلى أن ما يتضمنه التراث الفنى من فكر خليق بالمدارسة ، وهو يتصف بالعمق والجدّية بصفة عامة ، وأن الفنانين عبر العصور كانوا جادين فى تناولهم لأعمالهم الفنية ، فاتّصفوا بالعمق وسبْر الأغوار . أما الاتجاه الثالث ، فإنه الاتجاه النسبى . والقائلون به يعتقدون أن لكل عصر فنه الخاص به . ومن ثَمَّ فإن من المستحيل تقييم الفن القديم فى ضوء الفن المعاصر ، أو مقارنة فن عصر ما بفن عصر آخر ، أو مقارنة فن شعب ما بفن شعب آخر . وبتعبير آخر فإن لكل فن قوامًا خاصًا به ، يتحدد فى ضوء الظروف التى أحاطت بمن قاموا بإنتاجه .

ونحن وإن كنا نعترف بأن للفنانين فى أى شعب وفى كل عصر ظروفهم الخاصة بهم التى تعكس تأثيرها على ما ينتجونه من فن ، فإننا نستطيع أن نقول : إن من الممكن إحداث تفاعلات خبْرية من فكرنا الفنى وبين فكر الآخرين الذى تتضمنه فنونهم . ذلك أن الخطوط العريضة فى المشاعر الفنية واحدة . وشاهد ذلك أننا عندما نشاهد

Looloo
www.dvd4arab.com

الفنون المرئية ، فإننا نحس بالسعادة لمشاهدتها وتأملها ، وعندما نسمع الألحان والأغانى القديمة ، فإننا نحس بالطرب ، ونتجاوب مع ما نسمعه .

التراث المهارى الفكر :

الواقع أن التدفقات التكنولوجية المستمرة تعمل على القضاء على الكثير من المهارات اليدوية التى كانت سائدة ، وبذا فإنها صارت من مخلّفات الماضى ، كما صارت تراثًا متّسمًا بالسُبات . فهى لا توظّف حاليًا على نطاق واسع ؛ لأنها انكمشت فى نطاق ضيق للغاية . خذ مثالاً لذلك النول اليدوى وقد حل محله النول الآلى .

ولكن هل معنى هذا أن المهارات بجميع أنواعها قد انقضت إلى غير رجعة ؟ إننا لا نستطيع أن نقصر مفهوم المهارات على المفهوم الحركى اليدوى ، بل نتوسع بهذا المفهوم لكى يشمل المهارات التالية :

أولاً ـ المهارات الحركية : فهذا النوع من المهارات لا يقتصر على نطاق المهارات اليدوية ، بل يشمل جميع المهارات الحركية التى تستخدم فيها اليدان والرجلان أو بعض عضلات الجسم . من ذلك مهارة قيادة السيارة التى تستخدم فيها اليدان والرجلان ، ومهارة رقص الباليه التى تستخدم فيها الكثير من عضلات جسم الراقص .

ثانيًا ـ المهارات اللغوية : فالخطابة والمحاضرة والمجادلة ووسائل الإقناع والإيحاء والتنويم المغنطيسى ، وفنون التعبير الكتابى كالتأليف واستخدام القلم أو الآلة الكاتبة أو الكومبيوتر فى التعبير عما يعتمل فى الذهن من أفكار ، تدخل جميعًا فى نطاق المهارات اللغوية .

ثالثًا ـ المهارات الأخلاقية : وهى المهارات السلوكية التى يكتسبها المرء منذ نعومة أظفاره فى السيطرة على غرائزه وتوجيهها ، أو إلباسها الأثواب الحضارية ، وإخضاعها للصيغ السلوكية المقبولة دينيًا واجتماعيًا . ويخطئ من يعتقد أن مجرد الاقتناع بالسلوك الخلقى السليم كفيل باتباعه . بل ومن الخطأ أيضًا القول بأن تَشَبُّع المرء بالاعتقاد بضرورة اتباع ذلك السلوك الخلقى السليم ، كفيل بانتهاجه . ذلك أن التدرب على ذلك السلوك ضرورى لاكتسابه ، ولا يكفى بإزائه الاقناع والاعتقاد مع اعترافنا بأنهما ضروريان لاكتسابه .

رابعًا ـ المهارات العلاقية : وهى المهارات التى يكتسبها المرء بإزاء علاقاته بالآخرين . فثمة مهارات علائقية ندّية ، وعلاقات مهارية تحتية ، وعلاقات مهارية فوقية . ونعنى بالمهارات العلائقية الندية علاقات الزمالة . فعلى المرء أن يكتسب المهارة التى تجعله ناجحًا فى إقامة علاقات سوية وناجحة مع زملائه الذين يتعاون معهم فى أداء عمل مشترك فيما بينهم . أما العلاقات التحتية ، فنقصد بها علاقة المرءوس برؤسائه ، بينما نقصد بالعلاقات الفوقية ، علاقات الرئيس بمرءوسيه . وفى هذه الأنواع الثلاثة من العلاقات ، لابد أن يمر المرء بمرحلة تدريب على كل منها حتى يتسنى له اكتسابها .

خامسًا ـ المهارات الاقتصادية : وهى المهارات التى تتعلق بكيفية الكسب المالى ، وكيفية إنفاق جانب من المال المكتسب ، وادخار جانب آخر منه . والشخص الذى ينجح فى اكتساب تلك المهارات الاقتصادية ، يكون حصيفًا فى اتخاذ الموقف السليم بإزاء الدخل والمنصرف ، وبإزاء أولويات الإنفاق ، واتخاذ الموقف الوسط ، الذى لا يتصف بالإفراط فى الإنفاق ، أعنى التبذير ، كما لا يتصف بالتفريط والإمساك عن الإنفاق فيما يجب الإنفاق فيه ، برغم توافر المال بين يدى المرء ، أعنى البخل .

Looloo
www.dvd4arab.com

وواضح من تناولنا لهذه الأنواع الخمسة من المهارات ، أنها تشتمل على الفكر إلى جانب اشتمالها على اكتساب عادات معينة تتجسد فيما نسميه المهارات . وليس يَعْزب عن البال أننا نتخذ من التاريخ ، باعتباره سجلاً للتراث بما يتضمنه من شخصيات كانت مُثُلاً عليا يجب الضرب فى إثرها ، وشخصيات أخرى فاشلة فى حياتها يجب النأى عن المنهج الذى تلحفت به ، هاديًا لنا فى حياتنا . فنحن لا نضرب فى إثر المعاصرين لنا فى الغالب ونتخذ منهم مثلاً عُليا ، بقدر اتخاذنا من الشخصيات التاريخية تلك المثل العليا . فنتأمل بفكرنا ما تصرفوا به ، وما اكتسبوه من حكمة فى التصرف ، وما اكتسبوه من مهارات متباينة ، حتى ولو اختلفت عن المهارات الشائعة اليوم بين ظهرانينا .

التراث العالمى والفكر :

بالرغم من أن لكل شعب تراثه الخاص به ، بل ولكل بيئة محلية تراثها ، فإن هذا لا يعنى أن من الممكن إغفال التراث العالمى العام . فهذا التراث هو الحصيلة المتأتية عن تفاعل التراثات المحلية والقومية المتباينة بعضها مع بعض ، والخلوص من ذلك التفاعل الدائب ، إلى تراث عام شامل للبشرية جمعاء . فالتراث المصرى القديم ، والتراث العربى ، والتراث الهندى ، والتراث الصينى ، والتراث اليونانى ، والتراث الرومانى ، وجميع التراثات العالمية الأخرى ، لاشك أنها تفاعلت بعضها مع بعض ، لتشكّل تراثًا عالميًا له قوام متعيّن ومتميز عن كل من التراثات التى تشكّل منها .

ولعلنا نقول : إن التدفقات التكنولوجية المتلاحقة التى يتسم بها العالم المعاصر ، قد عملت على إلغاء الفواصل والمسافات التى كانت قائمة

بين الشعوب والبيئات الاجتماعية المتباينة ، بحيث صار العالم بمثابة قرية صغيرة ، فهو متصف بالتفاعلات الحضارية الدائبة من جهة ، وبالتفاعلات التراثية من جهة أخرى ، ومن ثمَّ فإن ما تتسم به حضارتنا الحالية من تقدم مستمر ، قد ساعد على التقارب بين الشعوب المتباينة ، بل إن الشعوب صارت تحس بأنها فى أمس الحاجة إلى أن تتعاون بعضها مع بعض ، وقد أحست بالاعتزاز بتراثها وبتراث غيرها ، بل وبضرورة استيعاب التراث العالمى الذى تأتّى عن تفاعل تراث كل منها الخاص بشعبها ، مع تراثات الشعوب الأخرى ، وقد صارت هناك تركة وراثية من حق جميع الشعوب أن تشارك فيها ؛ لأنها ملك مشاع للجميع . فلم نعد نحس بأن هناك فجوة تراثية بيننا وبين الشعوب الأخرى ، بل صرنا نحس بضرورة المشاركة فى تلك التركة والإفادة منها ، وأن لنا حقوقًا شرعية فيها ، وأن من حقنا أن نتعرف على التراث أينما يكون ، لأنه تراث الجميع متمثلاً فى التراث العالمى المشترك بيننا جميعًا .

★ ★ ★

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثالث عشر

الحضارة والفكر

الاتصالات والمواصلات :

من أهم عوامل تنشيط الفكر الاتصال بالآخرين . وفى ضوء التقدم المتضاعف للحضارة ، فإن الاتصال والانتقال من مكان لآخر قد أخذا يتضاعفان . ذلك أن الحضارة تتطور إلى الأمام وفق متتالية هندسية كما سبق أن قلنا . ومن هنا فإن الاتصالات والمواصلات أخذت تتضاعف باستمرار . وبالتالى فإن الفكر البشرى أخذ يتضاعف أيضًا .

بيد أننا نستطيع أن نُميّز بين زيادة كثافة الفكر وبين عمقه . فعلى الرغم من أن الحضارة قد عملت على إشاعة الأفكار على نطاق واسع ، فإنها فى الوقت نفسه قد شجعت انتشار الفكر السطحى بين الناس . ذلك أن الاتصال والمواصلات كلما تقدما بطريقة تضاعفية ، فإن السرعة التى يتمّان بها تتضاعف أيضًا . وإذا نحن بدأنا بتناول ما نجم عن سرعة الاتصال فى المرحلة الحضارية التى نمر بها ؛ فإننا نجد أن ثمة مجموعة من النتائج قد بزغت إلى الوجود نستعرضها على النحو التالى :

أولاً ـ زيادة الكم وانخفاض مستوى الكيف : فلقد ترتّب على سرعة الاتصال بين الناس بعضهم وبعض ، زيادة عدد الناس الذين يتعامل المرء معهم كل يوم . فإذا نحن قارنا بين ما كان يتم من اتصالات منذ ثلاثين سنة مثلاً ، بما يتم منها اليوم ؛ فإننا نجد أن عدد

الناس الذين يتصل بهم المرء فى اليوم الواحد ، صار أضعاف عدد الناس الذين كان يتصل بهم فى ذلك الوقت . وبالتالى فإن الوقت الذى يستمر فيه الاتصال بين شخص وآخر قد تقلّص ، كما أن ذلك الوقت القصير جدًا لم يعُد يسمح بإقامة روابط وجدانية متينة بينهما . وحتى ما كان قائمًا من روابط وجدانية بين الناس بعضهم وبعض ، قد أخذ يضعُف شيئًا فشيئًا . فالواقع أن طاقة الحب لدى المرء محدودة من حيث الكم . فكلما توزعت تلك الطاقة على عدد أكبر من الناس ، فإن نصيب الفرد منها يأخذ فى التناقص .

ثانيًا ـ قضاء المصالح بسرعة : وفى المقابل ، فإن المصالح التى يهفو الناس إلى قضائها تُنجز بسرعة مذهلة ، مع التقدم الهائل فى وسائل الاتصال . فمن الممكن أن تتعامل مع أحد البنوك فى أمريكا أو استراليا وأنت فى القاهرة بالفاكس ، وأن تُودع أموالاً فى حسابك الجارى هناك ، وتسحب منها عن طريق البنك الذى تتعامل معه فى القاهرة .

ثالثًا ـ سرعة انتقال الأخبار : فأى حدث يقع فى أى بقعة بالعالم ، أو خارج نطاق العالم على أحد الكواكب التى غزاها الإنسان ، أو بأى مركبة فضاء ، أو تحت سطح أحد المحيطات ، نستطيع أن نلاحقه أولا بأول ، بفضل وسائل الاتصال الحديثة .

وما يقال عن وسائل الاتصال ، ينسحب بصدق بإزاء وسائل المواصلات . فالسفر اليوم بين القارات ، لم يعد يستغرق إلا وقتًا قصيرًا نسبيًا . ولا تزال التكنولوجيا مستمرة فى زيادة السرعة فى الانتقال ، سواء باختراع وسائل انتقال جديدة ، على جانب أكبر من السرعة ، أم بتطوير وسائل الانتقال الموجودة بالفعل ، ولقد ترتّب على تحقيق هذه السرعة مع توفير الراحة للمسافرين ، عدة نتائج نكتفى بتقديم بعض منها على النحو التالى :

Looloo
www.dvd4arab.com

أولاً ـ تبادل الأفكار : فبعد أن كان المواطن المصرى مثلاً ، يقْبع بالقرية التى ولد بها طوال حياته ، ولا يتعامل إلا مع المحيطين به هناك ، فإنه صار منفتحًا على الدنيا بأسرها ، فيسافر للعمل بقطر ما بعيد عن بلاده ، أو للهجرة النهائية إلى ذلك القطر . ومن الطبيعى أن يتواكب مع ذلك التنقل السريع والسهل بين البلاد بعضها وبعض ، أو بين القارات بعضها وبعض ، تبادل الفكر بين الناس بعضهم وبعض . ناهيك عن سرعة انتقال المطبوعات من بلد إلى بلد آخر .

ثانيًا ـ تَصدُّع بعض القيم : فعلى الرغم من أن القيم التى يستمسك بها كل شعب ويُشرِّبها لأبنائه متبلورة إلى حد بعيد ؛ فإن الواقع أن سرعة الانتقال ، تعمل على تهديد الكثير من القيم الراسخة والمعتملة فى قوام الشعب . وبالتالى فإن بعض القيم قد أخذ فى التصدع بالفعل . من ذلك مثلاً القيم المتعلقة باختيار شريك الحياة . فنغمة العصر المادية قد حوّلت قيمة الرابطة الزوجية من الناحية المثالية ، إلى الناحية العملية الواقعية ، أو بتعبير أصح فإن هذه الرابطة صارت رابطة مادية إلى حد بعيد .

ثالثًا ـ النظرة الواقعية إلى الفكر : فبعد أن كان الفكر مقدسًا فى ذاته ، بغير إقامة أى اعتبار لما يمكن أن يتأتى عنه من فوائد ، سواء للمفكر أم للمستقبلين للفكر ؛ فإن نغمة العصر المادية ، قد سيطرت على مقاليد الأذهان . فالكتاب الجاد الذى لا يُتوقع توزيعه بسرعة وبأعداد ضخمة ، يرفضه الناشرون . ومعنى هذا أن الكتاب الذى يخاطب أكبر قطاع من الشعب ، هو الذى يجد حظه من الطبع والتوزيع . وطالما أن الغالبية العظمى من الناس يهفون إلى المثير أو السطحى ، أو الذى لا يحتاج الى بذل الجهد فى قراءته ، فإن الفكر العميق والأبحاث القيّمة ، لا تجد لها منفذًا إلى النور .

التعليم والإعلام :

هناك صراع مُضمر ومستَخف بين التعليم والإعلام . وكل منهما يستعين بالأسلحة التى يعتقد القائمون على شئونه أنها ناجعة فى معركة البقاء والتفوق . وفيما يلى نقدم بعض الأسلحة التى يستعين بها التعليم تتمثل فيما يلى :

أولاً ـ المؤهلات الدراسية : فمن المعروف أن المؤهل الدراسى كلما كان أعلى ، فإن الناس يعتقدون أن الحاصل عليه ، قد ارتقى فى المجال الذى يشير إليه ذلك المؤهل الدراسى . والكثير من الأعمال والمهن لا يجوز ممارستها إلا بعد الحصول على المؤهل الدراسى المعتمد ، والمعترف به من جهة العمل المتعلقة به . فالطبيب مثلاً لابد أن يكون حاصلاً على بكالوريوس الطب ، حتى يتسنى له ممارسة مهنة الطب . وقل الشىء نفسه بإزاء الكثير من الأعمال والمهن . وواضح أن وسائل الإعلام لا تقدّم للمتلقين لها مؤهلات إعلامية .

ثانيًا ـ الإمساك بزمام السلطة والهيمنة على الشعب دراسيًا : فالنظام التعليمى يفرض الإلزام بالنسبة لمرحلة التعليم الأساسى . وثمة إلزام آخر من جانب الأسرة تفرضه على أبنائها . فكل أسرة تقريبًا تلزم أبناءها بالالتحاق بمعاهد التعليم ، ولكنها لا تفعل ذلك بإزاء وسائل الإعلام وما تقوم بنشره بالصحف والمجلات ، أو ما تذيعه إذاعاتها ، أو ما تبثه قنواتها التليفزيونية .

ثالثًا ـ التربية المباشرة والمتابعة الأخلاقية : والمدرسة مسئولة عن رعاية تلاميذها وطلبتها سلوكيًا وليس تعليمهم فحسب . وسواء اضطلعت المدرسة بهذه المسئولية ، أم قصّرت فيها ؛ فإنها منوطة بها . وهذا لا ينطبق على وسائل الإعلام من قريب أو من بعيد .

Looloo
www.dvd4arab.com

أما الأسلحة التى تستحوذ عليها وسائل الإعلام ، فإننا نستطيع أن نقدم أهمها على النحو التالى :

أولاً ـ الإبداع الإعلامى : فبينما نجد أن المدرس والناظر والموجه محكومين بمناهج محددة قبلاً ، وأن أيًا منهم لا يستطيع أن يبدع ، سواء فى المضمون أم فى الطريقة التى يدرّس بها ، فإن رجل الإعلام ـ خلافاً لذلك ـ يستطيع أن يبدع ، سواء بالنسبة لما يتناوله من موضوعات ، أم بالنسبة للصيغ التى يُخرج بها أعماله الإعلامية .

ثانيًا ـ مراعاة الاهتمامات الشعبية : فرجل الإعلام ـ لكى يضمن لنفسه النجاح فى أداء رسالته ـ عليه أن يؤمن بأنه يخاطب الجماهير بصفة عامة ، ولا يقتصر على طبقة معينة ذات ثقافة معينة ، فهو يهمه أن يرتفع بمستوى الوعى الفكرى العام ، دون الدخول فى التفاصيل ، ودون الولوج فى أعماق الموضوعات التى يتناولها .

ثالثًا ـ من كل بستان زهرة : فالجريدة أو المجلة أو أى إذاعة أو أى قناة تليفزيونية ، تهتم بأن تقدم العديد من الفقرات المتنوعة ، بحيث تشبع رغبات أكبر عدد من المتلقين ، وأن تجد قبولاً من جانبهم .

الحرية والقسر :

السؤال الذى يجب أن نطرحه بإزاء ما ترتب على التطورات الحضارية المتلاحقة من حرية أو من قسر هو : هل تلك التطورات الحضارية قد قيّضت للمواطن قدرًا أكبر من الحرية ، عما كان عليه الحال قديمًا ؟ للإجابة عن هذا السؤال ، فإن علينا أن نتناول فيما يلى الزوايا الأساسية من شخصية الفرد وأن نلقى عليها الضوء ؛ لكى نرى هل توفر له تلك التطورات الحرية ، أم أنها تفرض عليه القهر والقسر .

أولاً ـ الزاوية الجسمية : فمع تقدم الطب ، فإن الكثير من الأمراض قد تم التغلب على أسبابها ، فتسنى بذلك تحرير الفرد من كثير من الأمراض التى كانت تتفشى بين أبناء الأجيال القديمة . ولكن من جهة أخرى ، فإن الحضارة قد أفسدت البيئة الطبيعية ، وعملت على تلويث الهواء والماء ، ومن ثم فإن الحرية الجسمية التى تتمثل فى التحرر من الأمراض المستعصية ، قد باتت مهّددة بالخطر ، وذلك لأن تلويث البيئة الطبيعية يعمل على نشر الأمراض السرطانية وغيرها من أمراض خبيثة . وكذا فإن التجارب المعملية قد تودى فى أثناء ممارستها ، إلى تخليق فيروسات لا يتسنى الوقاية من الإصابة بها ، أو العلاج من الأمراض التى تسببها . ويقال : إن فيروس الإيدز واحد من بين تلك الفيروسات المخلّقة . وعلى هذا فإننا نستطيع أن نتهم الحضارة بأنها بينما هى تقدّم بعض الحرية الجسمية للإنسان باليمين ، فإنها تسلبها منه باليسار .

ثانيًا ـ الزاوية النفسية : ففى ظل الظروف الحضارية الشائعة اليوم ، والتى تتمثل بصفة خاصة فى البطالة الصريحة والبطالة المقنعة ، ومع انتشار المجاعات ، وما يحيط بالمستقبل من قلق وتوتر نفسى ، فإن إنسان الحضارة يحس بأن مستقبله محفوف بالكثير من الصعاب . فإحساس المراهق أو الشاب بأن طريق العمل مسدود أمامه فى الغالب ، يحمله على أن يرتمى فى أحلام اليقظة ، ويقوده ذلك فى الغالب إلى الانحراف وارتكاب الجرائم . ولعلنا نزعم أن الانحرافات الجنسية التى تعتبر ترجمة لما أصاب مقترفها من انحراف فى صحته النفسية ، وما يتواكب معها من جرائم جنسية كالاغتصاب والخيانات الزوجية ، إنما تتأتى فى الغالب نتيجة الظروف الحضارية غير المواتية .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثالثًا ـ الزاوية السياسية : فالواقع أن الحضارة البشرية قد حملت معها الكثير من المظالم السياسية ، وما تواكب معها من حروب وثورات . فعبْر القرون ومع التقدم الحضارى ، قد وجدت الدول القوية ضالتها المنشودة فى النخاسة وتجارة الرقيق الأبيض . وها نحن فى أواخر القرن العشرين نسمع ونقرأ عن تجارة الأعضاء البشرية . فنشأت سوق نخاسة جديدة ، يباع فيها الناس بالأقطار الفقيرة ، ثم ينقلون إلى حيث يتم بتر أعضائهم السليمة ونقلها إلى من أصيبت أعضاؤهم أو تلفت من الأثرياء . وبتعبير آخر فإن الذبائح البشرية صارت أضحيات من أجل الأغنياء ، وفى سبيل من بيدهم السلطان والقوة من بنى الإنسان . ومعنى هذا أن الحضارة لم توفر للإنسان الحرية السياسية ، إلا فى نطاق ضيق ، وفى ظل ظروف قليلة .

على أننا لا نغْمط الحضارة برمتها حقها ، بل نعترف بما بذلته فى سبيل توفير الحرية للشعوب والأفراد . ولنذكر على سبيل المثال ما اضطلعت به الحضارة من توفير الحرية للعبيد ، وذلك بالقضاء على تلك التجارة التى كانت تدر أرباحًا هائلة على المتجرين بها . ونذكر أيضًا ما كفلته الحضارة للطفولة والشيخوخة والمتخلفين وأصحاب العاهات من حرية ومن رعاية مستمرة ، كما نذكر أيضًا ما أحرزته المرأة من حرية اجتماعية ومهنية واقتصادية فى معظم ربوع العالم ، كما نذكر أخيرًا وليس آخرًا أن الأمم المتحدة التى تمثل جميع الدول ، تقف بالمرصاد للدول القوية التى تغير على الدول الصغيرة لنهب ثرواتها واستذلال أهلها . وحتى إذا لم تكلل جميع الإجراءات التى تتخذها هذه المؤسسة العالمية بالنجاح الكامل ، فإنها تتقدم على أية حال بخطوات حثيثة نحو إحراز أكبر قدر ممكن من النجاح ، فى مسعاها لتوفير الحرية للدول والشعوب المغلوبة على أمرها .

★ ★ ★

الفصل الرابع عشر
التربية والفكر

التربية بالمشكلات :

بزغ فكر الإنسان إلى الوجود عندما وجد نفسه فى مجابهة بعض المشكلات التى تهدد أمنه وحياته ، وكان كل فكر يتفتق فى ذهن الإنسان ، ينضاف أو يتفاعل مع ما سبق أن توصل إليه . من هنا تكوّنت عبر العصور حصيلة خبرية هائلة ، هى ما نسميه التراث أحيانًا ، ونسميه الثقافة أحيانًا أخرى . وعلى أية حال ، فإن الثقافة هى الجزء النابض بالحياة من التراث . فالتراث يشمل الثقافة من جهة ، كما يشمل ما أُحيل إلى التقاعد من خبراته ، أو ما انخرط منها فى نُعاس عميق من جهة أخرى . ولكنا لا نحكم على مالا ينبض باليقظة بأنه قد مات . ذلك أن الإنسان قد يعمد إلى إيقاظ ما انخرط فى النعاس أو ما أحيل إلى التقاعد من المقومات التراثية . وبعد أن يستيقظ ما يقوم بتوظيفه من جديد فى حياته الواقعية ، فإنه يستحيل من نطاق التراث النائم ، إلى نطاق الثقافة النابضة بالحياة ، والمفعمة بالحيوية .

والتربية الخليقة بتفتيق فكر الناشىء ، ليست هى التربية التشريبية التى تحاول صياغة ذهنه وفق أطر تراثية ، بل هى تلك التربية التى تقوم بتلخيص تطور الحياة الفكرية للبشرية . فكما أن البشرية قد تفتق ذهنها نتيجة مجابهة المشكلات التى كانت تهدد أمنها ، كذا فإن على المربين ، أن لا يقدموا الخبرات لقمة سائغة أمام أبنائهم ، بل لابد أن يجعلوهم وجهًا لوجه أمام المشكلات التى يخططون لها ويترسّمونها .

Looloo
www.dvd4arab.com

وهناك فى الواقع مجموعة من الشروط التى يجب توافرها فى المشكلات التى يقدّمها المربون إلى الناشئة حتى تكون ناجعة ومثيرة لفكرهم ، لعلنا نقدم أهمها على النحو التالى :

أولاً ـ مناسبة المشكلة للمستوى الخبْرى : فالمشكلة التى يُعدها المربى لتلاميذه ، يجب أن تكون فى مستواهم الخبْرى الذى بلغوه ، أو قل بتعبير أدق ، إن من الواجب أن تكون المشكلة أعلى مستوى بقليل من ذلك المستوى الخبرى ، وألا تكون أقل من ذلك المستوى .

ثانيًا ـ إثارة اهتمام الناشئة : ومن الشروط الواجب توافرها فى المشكلة المقدمة إلى الناشئة أن تكون مما يثير اهتمامهم ويدفعهم إلى إعمال أذهانهم فيها .

ثالثًا ـ توفير الإمكانات : ومن الضرورى أن تكون المشكلات المقدمة إلى الناشئة ممكنة الحل . صحيح أنها لابد أن تكون على جانب من الصعوبة ، ولكن يجب ألا تكون مستحيلة على الحل . ومعنى هذا أن على المربى ، أن يكون قد أعد وسائل التوصل إلى الحلول المناسبة للمشكلات التى أعدّها . ولكن عليه ألا ينبه تلاميذه إلى ما يجب عليهم انتقاؤه من تلك الوسائل ، بل يتركهم يقعون عليها بأنفسهم .

رابعًا ـ المحاولة والخطأ : وعلى المربى أن يترك تلاميذه يجربون المرة تلو المرة ، حتى يصلوا بأنفسهم إلى الحل الصحيح للمشكلة التى تعترض طريقهم . فمنهج المحاولة والخطأ ، يعتبر منهجًا أساسيًا فى طريقة التربية بالمشكلات . وعلى المعلم ألا يتبرم بالمحاولات الفاشلة التى يقع فيها من يقوم بتربيتهم ؛ لأن الخطأ هو الطريق المُفْضى إلى الصواب .

خامسًا ـ تنويع المشكلات : ولكى تُفْضى هذه التربية إلى الفائدة المرجوّة منها ، فإن من الواجب تنويع المشكلات التى تقدم إلى الناشئة ، فلا يُكتفى بنوعية واحدة ، أو بالمتشابه من المشكلات ، بل لابد أن يكون التنوُّع مُشْتملاً على اختلاف جوهرى من مشكلة إلى مشكلة أخرى .

التربية بالخيارات :

إن التربية الشائعة ، والتى يؤمن بها معظم المربين ، هى تلك التربية التى نعتناها فى مقام آخر بأنها « التربية الأحادية » ، وهى التربية التى تؤمن بوجوب توزيع الأطفال أو المراهقين أو الشباب فى فئات متجانسة ، فى ضوء السن فى الغالب ، ثم تشريبهم خبرات مُوحّدة ، لا تتباين فى نطاق الفئة الواحدة من فئات التلاميذ أو الطلاب ، ولا يقام فى تطبيق هذه التربية أى اعتبار للفروق الفردية ، كما لا يقام أى اعتبار للأمزجة والاستعدادات والظروف المتباينة التى يتعرض لها تلميذ ما ، بينما لا يتعرض لها تلميذ آخر . (انظر كتابنا « التربية لمجتمع متحرر ») .

وفى مقابل هذه التربية الأحادية ، فإننا ناديا « بالتربية الفارقية » التى تعترف لكل تلميذ بالإمكانات العقلية والمزاجية التى تتبدى لديه ، والتى يختلف فيها كثيرًا أو قليلاً عن غيره من تلاميذ . وحيث إن التجميع الفئوى فى فرق دراسية ، أمر لا مفر منه ، فإن الحل يكمن ، فى الخيارات الكثيرة التى يجب أن تتوافر أمام تلاميذ الفرقة الواحدة ، بحيث ينتقى كل تلميذ ، ما يحلو له منها .

والواقع أن الخبرات فى عمومها ، يمكن أن تنقسم إلى قسمين أساسيين : قسم يتعلق بالمضامين الخبرية ، وقسم آخر يتعلق بالوسائل

Looloo
www.dvd4arab.com

التى يتذرع بها التلاميذ ؛ لاكتساب الخبرة . فالقراءة والكتابة والحساب ، تشكل الوسائل التى يستعان بها لتحصيل الخبرة . وبالنسبة لهذه الوسائل ، يمكن مراعاة الفروق الفردية بإزائها ، من حيث كمية التدريبات التى يضطلع بها كل تلميذ . فمثلاً بالنسبة للمسائل الحسابية ، تُعْرض أمام تلاميذ الفصل مسائل كثيرة بحيث يجد كل تلميذ الكم المناسب لذكائه وسرعته فى الحل ، أما بالنسبة لنوعية المسائل أو الخطوط العريضة بها ، فإن تلاميذ الفرقة الواحدة ، يجب أن يُدربوا عليها جميعًا ، كما لو أنهم تلميذ واحد .

أما بالنسبة للمضامين الخبرية ، فلا لزوم لصب تلاميذ الفصل الواحد فى قالب واحد بإزائها ، بل يجب أن تتوافر الحرية لكل تلميذ ، ليقرأ ما يجد رغبة لديه فى قراءته ، وليكتب فى الموضوعات التى يجد لديه دافعًا للكتابة فيها .

ومما لاشك فيه أن التربية بالخيارات تتضمن مجموعة من المزايا التى نستطيع تحديدها على النحو التالى :

أولاً ـ إبراز المواهب فى سن مبكرة : فمن الملاحظ أن المبرّزين الذين أثبتوا وجودهم فى الحياة ، لم يتسن لهم التعبير عن مواهبهم ، إلا خارج نطاق الدراسة ، أو بعد التخرج والانخراط فى ركب الحياة . ومعنى هذا أن المدرسة ، لا تسمح بالتعبير عن المواهب الشخصية ، أو تكون بمثابة مقبرة لتلك المواهب ، إذ يجبر التلميذ على صب نفسه فى قوالب مُعَدّة له من قبل ، تبعًا للطريقة الأحادية المتّبعة بجميع المراحل التعليمية . ولكن إذا ما اتبعت التربية بالاختيارات ، فإن نسبة كبيرة من التلاميذ سوف يُبْرزون مواهبهم ويستثمرونها ، وبالتالى فإنه كلما تقدم بهم العمر ، فإنهم يتفتقون عن إمكانات فكرية باهرة .

ثانيًا ـ إبراز شخصية المعلم : فالمعلم الذى يؤمن بهذه الطريقة فى تربية الناشئة ، سوف يكون حرًا فى توفير الخيارات الكثيرة والمتنوعة أمام تلاميذه ، وبالتالى فإنه يكون شخصية متفتحة ، ومتفاعلة مع البيئة المحيطة به ، بل ويكون متفتحًا على الواقع القومى والعالمى على السواء .

ثالثًا ـ الإحساس العام بالسعادة : فمما لاشك فيه ، أن مناخ الحرية فى اختيار ما يلائم كل تلميذ من خبرات يقوم بتحصيلها بنفسه ، لمما يبعث على الشعور بتحرر فكره ، وبالسعادة والحبور يملأن جنباته . ذلك أن التواؤم بين المرء وما لديه من استعدادات ، مع ما يقوم بتحصيله من خبرات ، لمما يُضْفى عليه إحساسًا بعدم التناقض بينه وبين الواقع البيئى المحيط به .

التربية بالمشروعات :

من الحقائق التى يتناساها كثير من الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ، أن الطفل يرغب فى المشاركة فى الحياة ، وأنه يصبو إلى أن يكون عضوًا حيًا يلعب أدوارًا أساسية على قدّه ومقاسه ، ويحزن حزنًا شديدًا ، عندما يركنه الكبار من حوله على الرف ، ولا يعيرونه أى انتباه ، ولا يُشْركونه فى الأعمال التى يستطيع المشاركة فيها .

فالطفل فى البيت ، يتلقى الأوامر التى تكون أوامر نهْى فى الغالب . وفى المدرسة يجلس كالصنم على المقْعد دون حراك ، يتلقى الكلام الذى يفوه به المدرس . وعليه أن يشحن ذاكرته بالمعلومات ، التى يقوم بصبّها فى آخر العام الدراسى على ورقة الإجابة .

Looloo
www.dvd4arab.com

والواقع أن التربية الخليقة بالاتباع ، هى التربية بالمشروعات . فمن الممكن قيام كل تلميذ بمشروع خاص به ، كما يمكن أن يشترك عدد من التلاميذ فى مشروع واحد . والمشروعات التى نقصدها ، تتباين فى أنواعها ، كما يمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية :

أولاً ـ مشروعات بنائية : من ذلك ، مشروع تفصيل وحياكة الزى المدرسى . وهذا المشروع ، يصلح لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسى للبنات . ومن الممكن القيام بتدريبات مبدئية فى هذا الصدد باستخدام أوراق الجرائد فى التفصيل . وبعد الإتقان تقوم كل بنت بتفصيل زيّها الخاص بها . ومن ذلك مشروع الحديقة المدرسية ، ومشروع إنشاء ملعب . ومن الطبيعى أن يكتسب التلاميذ معلومات وخبرات عملية فى أثناء قيامهم بالمشروعات التى يختارونها . ولكن يجب ألا تُقْحم المعلومات إقحامًا على المشروع ، أو يفتعل ربطها به ، حتى لا ينصرف التلاميذ عنه ، ويفتر حماسهم له .

ثانيًا ـ مشروعات هَدْمية : من ذلك مشروع هدم بركة بالقرية ، ومشروع مقاومة دودة القطن بالحقول ، ومشروع مقاومة الناموس المنتشر فى كثير من القرى . ومشروع القضاء على العقارب والفئران والعرس ، ونحو ذلك من مشروعات تتسم بخاصية الهدم ، والقضاء على الضار من الآفات والحشرات والحيوانات الخطرة على حياة الإنسان وصحته .

ثالثًا ـ مشروعات صحية وأمنية : ومنها مشروع الإسعاف ، ومشروع الإطفاء ، ومشروع صيانة المرافق ، ومشروع الحماية من أخطار الكهرباء والغاز . ومشروع توعية الناس بما يجب عليهم اتباعه من سلوك حتى يأمنوا شر المرض . فتشكل لذلك بمدرسة القرية

جمعية مدرسية لمقاومة الإصابة بالبلهارسيا ، يقوم أفرادها ببث الوعى لدى الأهالى فيمتنعون عن الاستحمام بالترعة حتى لا يصابوا بالبلهارسيا .

التربية بالتدريبات :

هذا النوع من التربية يعتمد أساسًا على اكتساب المهارات المتباينة التى يمكن أن نستعرضها على النحو التالى :

أولاً ـ التدريبات الرياضية : فالتربية بالتدريبات ، تؤمن بأن الجسم هو الأساس الذى ترتكز عليه جميع أنشطة المرء ، وعلى رأسها الأنشطة الفكرية . من هنا فإن التدريبات الرياضية ، تشكل قاعدة أساسية . ولكل تدريب رياضى ، هدف يُبْتغى تحقيقه بإزاء جسم المتدرب . فبعض التدريبات ، تستهدف تقوية عضلات معينة بالجسم ، وبعضها يستهدف كسب الرشاقة ، وبعضها الثالث يستهدف الإعداد لممارسة لعبة كلعبة كرة القدم أو ممارسة السباحة . وبعد ذلك الإعداد يبدأ الطفل أو المراهق أو الشاب فى التدرب على اللعبة التى وقع اختياره عليها . ولقد تمارس التدريبات الجسمية العامة فى خط متواز مع التدرب على اللعبة التى يحبها الطالب .

ثانيًا ـ تدريبات مهارية : ومنها التدرب على استخدام الكومبيوتر أو الآلة الحاسبة الجيبية ، والتدرب على قيادة الدراجة والدراجة البخارية والسيارة ، والتدرب على صيانة السيارات ، وغير ذلك من تدريبات تنصب على اكتساب مهارات يدوية معينة .

ثالثًا ـ تدريبات لغوية : وأهمها تلك التدريبات التى تنصب على ممارسة الخطابة ، وعلى التعبير بالقلم ، أو بوساطة الآلة الكاتبة أو الكومبيوتر . ومن الطبيعى أن تسبق الخطابة والتعبير ، تدريبات على قراءة الشعر والنثر ، والإلمام بالخطوط العريضة المتعلقة بقواعد اللغة

Looloo
www.dvd4arab.com

العربية ، والتدرُّب على استخدام القواميس . وما ينطبق على اللغة القومية ، ينسحب بإزاء اللغة أو اللغات الأجنبية التى تُدَرَّس بالمدرسة .

التربية بالتنافس :

من الخطأ أن نعتقد أن الأخذ بمبدأ التنافس ، يتنافى مع الأخذ بمبدأ التعاون . فالواقع أن هناك تكاملاً فيما بين هذين الطرفين . والمربى الذى يتذرع بهذين المبدأين ، يقسّم تلاميذ فصله إلى فئات ، بحيث تتعاون كل فئة فى نطاق أفرادها ، بينما تتنافس كل فئة من الفئات التى قُسِّم إليها الفصل مع باقى الفئات . ومن الطبيعى أن يحدّد المعلم الأنشطة التى يتعاون أفراد كل فريق فى إنجازها من جهة ، والتى يتنافسون بصددها مع الفئات الأخرى من جهة أخرى . وللتربية التنافسية مجموعة من المميزات التى نقدم أهمها على النحو التالى :

أولاً ـ بذل أقصى الطاقة : فالمعلم الذى يجرّب هذه الطريقة التربوية ، بإزاء الأنشطة المتباينة التى يحددها لتلاميذ فصله ، يقف جيدًا على أنها تكفل إشعال جذوة الحماس فى قلوبهم ، وتجعلهم يُنْجزون المهام بأسرع ما يمكن ، وبأعلى مستوى يستطيعونه .

ثانيًا ـ الترابط القلبى بين التلاميذ : فهذه الطريقة تؤدى إلى تحقيق الترابط القلبى بين تلاميذ الفصل الواحد . ولقد تظل تلك الروابط القلبية حية بينهم ، حتى بعد أن يشبوا عن الطوق ، وينخرطوا فى ركب الحياة .

ثالثًا ـ تحقيق مبدأ الدينامية : فهذه الطريقة التنافسية تثير الكوامن النفسية ؛ لأنها تبدأ من دخائل أفراد التلاميذ فتستثير فيهم روح التعاون من جهة، وروح التنافس من جهة أخرى .

★ ★ ★

الفصل الخامس عشر
الإبداع والفكر

النمو الفكرى والإبداع :

كما أن الجسم ينمو ، كذلك العقل ينمو ، ويتآزر مع نموه ما يمكن أن يقدمه من فكر . فالوليد يكون حاملاً لمجموعة من الاستعدادات المتباينة ، من بينها تلك الاستعدادات العقلية التى تأخذ فى النمو ، بفضل التغذية الخبْرية التى يتلقاها من البيئة المحيطة به . بيد أن النمو الذهنى لا يتم بطريقة ميكانيكية ، أى بالاستقبال الخبْرى من الخارج فيحدث النمو الذهنى ، بل يتم بفضل ما يتم من تفاعلات خبْرية فيما بين الوارد من الخارج من مؤثرات خبْرية ، وبين الحصيلة أو المركّب الخبرى ، الذى نتج عن التفاعلات الخبرية السابقة . فثمة مركب خبْرى يتشكل لدى المرء . وهو كلما استقبل مؤثرات خبْرية جديدة ، فإن التفاعلات الخبرية التى تحدث ، إنما تحدث بينها وبين ذلك المركب الخبْرى . وكلما تضخم وتماسك ذلك المركب الخبْرى ، فإن المرء ينمو خبْريًا ، وتتفتح لديه آفاق ذهنية جديدة .

ولكن النمو الخبْرى الذى يتأتى لذلك المركب الخبرى لا يتوقف فى نطاق ما يستقبله المرء من مؤثرات خبْرية خارجية ، بل إنه يستمر بدخيلته ، ذلك أن المركب الخبْرى يعمل ذاتيًا . فالتفاعلات الخبْرية الذاتية فى قوام ذلك المركب الخبرى ، تستمر حتى بغير أن يستقبل المرء مؤثرات خبْرية جديدة من الخارج . وتفسير ذلك يكمن

Looloo
www.dvd4arab.com

فى التوافيق والتباديل التى تحدث فيما بين مقومات ذلك المركب الخبرى . فسواء أكان المرء فى حالة شعورية ، أم كان فى حالة لا شعورية ؛ فإن التفاعلات الخبرية التى تتم بين مقومات ذلك المركب الخبرى ، أو ما يحدث فى إطاره من توافيق وتباديل ، إنما تعمل على استمرار المرء فى النمو الخبرى .

ولكن من الطبيعى أن المرء كلما تلقى من الواقع الخارجى مؤثرات خبرية أكثر كما وأكثر تباينا وتنوعا ، فإن النتاج الذهنى ، والنمو الفكرى يكونان أفضل . فالمهم إذن هو توفير الفرص المناسبة ؛ لاستقبال المؤثرات الخبرية الخارجية من جهة ، ولإحداث التفاعلات الخبرية فى دخيلة المرء من جهة أخرى . فالتواكب بين هاتين العمليتين كفيل بإحداث النمو الخبرى لدى المرء .

وكلما كان النمو الفكرى مستمرا ومتسارعا ؛ فإن قدرة المرء على تقديم الإبداعات تكون أقوى . ولكن من الطبيعى أن يكون الإبداع متمشيا ومنسجما مع طبيعة المركب الخبرى لدى المرء . فالغذاء الذى تغذى به ذلك المركب الخبرى ، هو الذى يحدد طبيعة الإبداع الذى يصدر عن المرء .

الخلفية الخبرية والإبداع :

وفى ضوء ما قلناه قبلا ، فإن الخلفية الخبرية التى تتأتى للمرء ، هى التى تتحكم فى طبيعة ونوعية الإبداع الذى يتسنى له تقديمه . ولكن هذا لا يحول دون الاعتراف بأن جميع أنواع الإبداع ، تخضع لمنهج إبداعى واحد ، لعلنا نقوم بتقديم ملامحه الأساسية على النحو التالى :

أولا ـ الأصالة الإبداعية : فالشخص المبدع ، يضع نصب عينيه ألا يستشف أو أن يقتبس من الموجود بالفعل فهو ينأى عن التقليد والاقتباس ، ويهفو إلى الجديد المبتكر ، وذلك بشق خطوط جديدة غير مسبوقة على الإطلاق .

ثانيا ـ اكتشاف علاقات غير مسبوقة : والمبدع فى منهجه الإبداعى ، يقوم باكتشاف علاقات جديدة ، لم يحدث أن اكتشفها أحد من قبل . وواضح من هذا ، أن المبدع يُعمل ذكاءه فيما يتناوله من مسائل أو موضوعات ، ويسبر أغوارها إلى أن يتسنى له الوقوع على تلك العلاقات المجهولة ، التى استخفت على السابقين والمعاصرين والمشتغلين بنفس المجال الذى يعمل به .

ثالثا ـ استخدام وسائل أداء بطرائق مبتكرة : والمبدع لا يتوقف عند الموضوعات المبتكرة ، وعند العلاقات المجهولة ، بل يمتد إلى الوسائل التى يبتكرها ابتكارا ، أو التى يستخدمها بطرائق جديدة ، لم يسبق لأحد أن استعان بها .

رابعا ـ الاستمرارية وطول النَّفَس : ويتصف المنهج الذى يتخذه المبدع بالاستمرارية لمدة طويلة . ذلك أنه يتمتع بالنَّفَس الطويل فى العمل . فبينما نجد أن الأشخاص غير المبدعين لا يستطيعون الاستمرار فى التأمل وإعمال الفكر إلا فترة قصيرة ؛ فإن المبدع يقضى الوقت الطويل فى تأمل عميق ، بل إنه فى أحلام يقظته ، وفى أثناء رقاده بالسرير ، يظل مستمرا فى التأمل . وبتعبير آخر فإن الجهد الذهنى لدى المبدع يوجه فى غالبيته إلى التأمل ، وفى تناول الموضوعات والمشكلات التى يستعرضها فى ذهنه ، وذلك بالتقليب على أوجهها ، حتى يكتشف الجديد المستخفى .

Looloo
www.dvd4arab.com

خامسًا ـ الاستقبال الإلهامى : ومن خصائص المنهج الإبداعى الذى يستخدمه جميع المبدعين ، استقبالهم للإلهامات الإبداعية . فهناك رسائل إلهامية تصدر من الخارج إلى عقل المبدع ، كما أن هناك علاقات تقوم فيما بين الموجودات الخارجية وبين العقول البشرية . والإلهام مباين للوحى من حيث المصدر الذى يوجه رسائله . فبينما نجد أن الوحى خاص بالأنبياء الذين يتلقون رسائل من السماء ، فإن الإلهام يتم على أساس علاقة حميمة بين موجود خارجى قد يكون جمادًا أو نباتًا أو كائنًا حيًّا أو إنسانًا وبين المرء . فالشعراء والمخترعون وجميع المبدعين ، يتلقون تلك الإلهامات من مصادر خارجية ، شغلت بالهم واستولت على عقولهم ووجدانهم .

الخيارات الفكرية والإبداع :

ولكن الرسائل الإلهامية التى تصدر من الواقع الخارجى إلى المبدع ، تكون متنوّعة وخصبة . ومعنى هذا أن المبدع لا يكون شأنه شأن جهاز الاستقبال الذى يتلقى الرسائل من الخارج ، فلا يكون عليه إلا تسجيلها ، والأخذ بها كما وصلت إليه . فالمبدع يتلقى رسائل إلهامية خصبة ومتنوعة من جهة ، كما يكون حرًّا فى تعديل ما يستقبله من تلك الرسائل الإلهامية وإدخال التغييرات المتباينة عليها من جهة أخرى . ومعنى هذا أن الإلهامات التى يستقبلها المبدع ، تكون بمثابة خامات يُخضعها للتصنيع الإبداعى الذى يتصف بمجموعة من الخصائص نقدمها على النحو التالى :

أولاً ـ الحذف والإضافة : فالمبدع لدى تلقيه للإلهامات ، يأخذ فى تفحُّصها ومدارستها بالتأمل العميق . وبتعبير آخر فإنه يأخذ فى فرزها ، وبالتالى فإنه يستبعد بعض العناصر التى تلقاها عن طريق

الإلهام ، بينما يستبقى البعض الآخر مما ألهم به . ولكنه لا يقف عند هذا الحد ، بل يضيف عناصر جديدة فى خبراته السابقة إلى المتبقى بين يديه من الرسالة الإلهامية التى تلقاها . ثم إنه يُحْدث تنسيقًا فيما بين المقوّمات التى صارت بين يديه بعد الحذف والإضافة ، بحيث يتصف تصوره الفكرى بالتكامل والاتساق .

ثانيًا ـ الصياغة التعبيرية : والمبدع فى هذا التصييغ الإبداعى ، يقوم بإعداد ما توصل إليه من إلهامات ، وقد أخضعها للحذف والإضافة ، بحيث يكون مُصاغًا فى قوالب يمكن التعبير عنها موضوعيًّا ، وإخراجها من النطاق الذهنى الداخلى إلى الواقع الموضوعى الخارجى . فهو يُسلِّح تلك الإلهامات التى تعدّلت بالحذف والإضافة ، بالأسلحة التعبيرية المناسبة لها ، حتى يتسنى للمتلقين لها تقبلها واستساغتها .

ثالثًا ـ التنقيح المستمر والتطوير الدائب : والمبدع فى تصنيعه الإبداعى ، لا يتوقف عند نقطة معينة لا يتعداها ، بل يستمر فى تنقيح ما توصل إليه ويتطور به . وبتعبير آخر فإن عملية التقييم تظل مستمرة فى ذهن المبدع . فهو لا يُفرز إبداعاته ثم تنتهى مهمته عند هذا الحد ، بل يظل يلقى بالضوء على ما قام بإبداعه ؛ حتى يتسنى له اكتشاف النقائص أو العيوب ، فيأخذ فى التصحيح والتحسين إلى أن يرضى عما قام بإبداعه .

المهارات التعبيرية والإبداع :

الواقع أن المبدعين ليسوا سواسية فيما يتعلق بالقدرة التعبيرية عما يحرزونه من إبداعات متباينة . ولعلنا نقول : إن اكتساب المهارات التعبيرية ، يعتبر الجزء المتمم للنتاجات الإبداعية التى تبدأ من دخيلة

Looloo
www.dvd4arab.com

المبدع ، وتنتهى إلى الواقع الخارجى ، أعنى المجتمع الذى يتلقى النتاجات الإبداعية . ولعلنا نقوم باستعراض تلك المهارات التعبيرية التى يستعين بها المبدعون ، كلٌ حسب اهتماماته ، ووفق المنحى الإبداعى الذى تخصص فيه ، على النحو التالى :

أولاً ـ المهارة التعبيرية المنطوقة : فالمبدع قد يصب إبداعه على الكلام المنطوق ، فيكون خطيبًا أو محاضرًا أو مسئولاً عن إدارة بعض الجلسات وتنظيمها . ولكنه يبدع فيما ينطق به من كلام بحيث يأخذ بالألباب . ولا تكون إبداعاته نتيجة ما حصّله من كلام ، بل نتيجة التفاعلات الخبْرية التى تأتت له نتيجة ذلك التحصيل ، وأيضًا نتيجة ما اكتسبه من مهارة فى سوّق كلامه إلى المستمعين إليه . ونذكر بهذه المناسبة ، ما كان طه حسين يستعين به من مهارة تعبيرية منطوقة ، فيما كان يلقيه من محاضرات بالجامعة وخارجها فى المناسبات الثقافية المتباينة .

ثانيًا ـ المهارة التعبيرية المكتوبة : وهذه المهارة تختلف عن المهارة التعبيرية المنطوقة . فالكاتب المبدع يستعين بالمهارة فى صياغة الكلام المكتوب بطريقة منّسقة . وهذه المهارة قد تمارس بالقلم أو بالآلة الكاتبة أو بالكومبيوتر . وواضح أن المهارات الحركية المستخدمة فى الكتابة بهذه الأدوات الثلاث تتباين عن المضمون الذى تسخّر للإبانة عنه . وكلما كان المبدع متمكنًا من استخدام وتسخير وسائل التعبير المكتوب ، كان بالتالى أكثر قدرة على تقديم ما اختمر لديه من إبداعات .

ثالثًا ـ المهارات التصييغية : وهذا النوع من المهارات يتبدى فيما يتسنى للمرء التأثير به فى الخامات ، فيصنع منها أشياء معينة . وهذه المهارة ضرورية للمخترعين الذين يقومون بتصنيع النماذج . ولكن

إذا لم تكن تلك المهارة فى مُكنّة المبدع ؛ فإنه عندئذ يستعين بمن يساعده فى عملية الصياغة ، بعد أن يقدم له التخطيط الذى يرغب فى تنفيذه .

الديالكتيك والإبداع :

قد يجد المبدع أنه فى مواجهة أفكار أو اتجاهات متعارضة بعضها مع بعض . فماذا يكون موقفه إذن ؟ إنه يقوم بما يسمى بالديالكتيك ، وهو العملية الذهنية التى بمقتضاها يقوم المرء بمواجهة فكرتين أو اتجاهين بعضهما لبعض ، ثم الخلوص من تصادمهما أو تفاعلهما بفكرة أو اتجاه جديد يختلف عن الفكرتين أو عن الاتجاهين المتعارضين بعضهما لبعض .

والواقع أن الغالبية العظمى من المبدعين يستعينون بالديالكتيك فيما يتوصلون إليه من إبداعات ، سواء بطريقة شعورية ، أم بطريقة لا شعورية . ولعلنا نقول : إن من طبيعة التفكير البشرى أنه يتضمن الصواب والخطأ ، والخير والشر ، والمناسب وغير المناسب . فالثنائية معتملة ومغروزة فى الطبيعة البشرية . فليس غريبًا إذن أن يقوم المبدع باستلهام تلك الثنائيات من دخيلته ، وأن يُعمل الديالكتيك فى كل منها أو فى بعضها ، فيتوصّل نتيجة ذلك إلى حصيلة إبداعية مستحدثة وغير مسبوقة .

ولعلنا نقول أكثر من هذا : إن الأشخاص العاديين من غير المبدعين يتذرعون أيضًا بالديالكتيك فى حياتهم العملية وفى حياتهم الفكرية . فالسلوك السوى هو اتخاذ الموقف الوسط بين الإفراط والتفريط . وهذا يشير إلى أن ثمة ثنائية موجودة بدخيلة المرء ، هى ثنائية الإفراط والتفريط . ولكن الشخص السوى يستعين بالديالكتيك يوظّفه بإزاء

Looloo
www.dvd4arab.com

هذين النقيضين ، فيتوصل نتيجة تفاعلهما ، إلى ذلك الموقف الوسط الذى يتخذه . ولكن الشخص غير السوى لا يتسنى له توظيف هذا الديالكتيك بين هذين الطرفين المتناقضين ، وبالتالى فإنه ينحاز إما إلى الإفراط ، وإما إلى التفريط .

وإذا كان هذا ما يحدث فى حياة الشخص العادى ، فيستعين بالديالكتيك فى سلوكه الأخلاقى ، فإنه يحدث بالأولى فى حياة المبدع بالنسبة للمسائل العقلية . فهو يستخدم الديالكتيك بإزاء مسائل ذهنية على مستوى عميق من الفكر . فهو ينتقى الثنائيات التى يتذرع بالديالكتيك حيالها ، بحيث تكون ثنائيات غير مطروقة ، وبالتالى فإن ما يتوصل إليه من نتائج إبداعية ، تكون ذات شأن ملحوظ ، ومعترفاً بها من جانب المتلقين لإبداعاته .

★ ★ ★

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول : معنى الفكر :	
ـ المعنى القبلى	٥
ـ المعنى البعدى	٩
ـ المعنى الآنى	١٣
الفصل الثانى : أهمية الفكر :	
ـ الأهمية العقلية	١٧
ـ الأهمية الوجدانية	١٨
ـ الأهمية الاجتماعية	١٩
ـ الأهمية الحضارية	٢١
ـ الأهمية الاقتصادية	٢٣
الفصل الثالث : معوقات الفكر :	
ـ معوقات فلسفية	٢٤
ـ معوقات تراثية	٢٦
ـ معوقات روتينية	٢٧
ـ معوقات إيديولوجية	٢٨
ـ معوقات مهارية	٢٩

Looloo
www.dvd4arab.com

الموضـــوع الصفحة

الفصل الرابع : الإدراك والفكر :

- الإدرك انبثاق من المحسوسات ٣١
- الإدراك والتعرُّف ٣٢
- الإدراك والوجدان ٣٤
- الإدراك واللاشعور ٣٥
- الإدراك والهلوسة ٣٦

الفصل الخامس : الذاكرة والفكر :

- أربعة أنواع من الذاكرة ٣٨
- علاقات الذاكرة ٤٠
- التذكر الاسترجاعى ٤١
- الذاكرة والأحلام ٤٢
- الذاكرة والانحرافات النفسية ٤٤

الفصل السادس : الخيال والفكر :

- بالخيال نحدد الأهداف ٤٥
- بالخيال نسبر آفاق المجهول ٤٧
- بالخيال نخطط للمستقبل ٤٨
- بالخيال نعد أنفسنا للعمل ٥٠
- بالخيال نصحح مسار حياتنا ٥١

الموضـــوع الصفحة

الفصل السابع : الذكاء والفكر :

- الذكاء اللغوى ٥٣
- الذكاء المعنوى ٥٦
- الذكاء العلائقى ٥٦
- الذكاء الأدائى ٥٧
- الذكاء المستقبلى ٥٨

الفصل الثامن : الوجدان والفكر :

- الوجدان هو طاقة الفكر ٦٠
- الوجدان والإدراك الحسى ٦٢
- الوجدان والذاكرة ٦٤
- الوجدان والخيال ٦٤
- الوجدان والإبداع ٦٦

الفصل التاسع : علاقة الإيحاء والتقليد بالفكر :

- تلقائية الإيحاء والتقليد ٦٨
- الرسالة الفردية ٦٩
- الرسالة الجمعية إلى فرد ٧٠
- القهر الفكرى ٧٢
- العصيان الفكرى ٧٣

Looloo
www.dvd4arab.com

الموضـــوع	الصفحة
الفصل العاشر : المهارات الحركية والفكر :	
ـ لا غنى للمهارات الحركية عن الفكر	٧٦
ـ التطورات الحضارية والمهارات الحركية	٧٨
ـ مخاصمة الفكر للمهارات الحركية	٧٩
ـ المهارات الحركية فى الإنتاج الفكرى ...	٨٠
ـ تساوق المهارات الحركية مع المهارات العقلية	٨٢
الفصل الحادى عشر : الإمكانات والفكر :	
ـ الإمكانات الشخصية	٨٤
ـ الإمكانات الشيئية	٨٦
ـ الإمكانات الاقتصادية	٨٧
ـ الإمكانات الثقافية	٨٨
ـ الإمكانات العلائقية	٩٠
الفصل الثانى عشر : التراث والفكر :	
ـ التراث الدينى والفكر	٩٢
ـ التراث المعرفى والفكر	٩٣
ـ التراث الفنى والفكر	٩٥
ـ التراث المهارى والفكر	٩٦
ـ التراث العالمى والفكر	٩٨

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الثالث عشر : الحضارة والفكر :	
ـ الاتصالات والمواصلات	١٠٠
ـ التعليم والإعلام	١٠٣
ـ الحرية والقسر	١٠٤
الفصل الرابع عشر : التربية والفكر :	
ـ التربية بالمشكلات	١٠٧
ـ التربية بالخيارات	١٠٩
ـ التربية بالمشروعات	١١١
ـ التربية بالتدريبات	١١٣
ـ التربية بالتنافس	١١٤
الفصل الخامس عشر : الإبداع والفكر :	
ـ النمو الفكرى والإبداع	١١٥
ـ الخلفية الخبرية والإبداع	١١٦
ـ الخيارات الفكرية والإبداع	١١٨
ـ المهارات التعبيرية والإبداع	١١٩
ـ الديالكتيك والإبداع	١٢١

Looloo
www.dvd4arab.com

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

من : أدب ، وقصة ، ورواية ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ، وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا وتاريخ ، واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة ... إلخ .

١ ـ الإنسان الباهت ..... طيبة أحمد الإبراهيمى
٢ ـ الإنسان المتعدد ..... طيبة أحمد الإبراهيمى
٣ ـ انقراض الرجل ..... طيبة أحمد الإبراهيمى
٤ ـ الحياة مرة أخرى ..... نوال مصطفى
٥ ـ نوم العازب ..... محمد حسن الألفى
٦ ـ الإعلام والمخدرات ..... د . نوال عمر
٧ ـ من شرفات التاريخ ، جـ١ ..... د . محمد رجب البيومى
٨ ـ فكر وفن وذكريات ..... لوسى يعقوب
٩ ـ أم كلثوم ..... مجدى سلامة
١٠ ـ المرأة العاملة ..... سوزان عبد المجيد أغا
١١ ـ ساعة الحظ ..... محمد حسن الألفى
١٢ ـ من شرفات التاريخ ، جـ٢ ..... د . محمد رجب البيومى
١٣ ـ الملامح الخفية (جبران ومىّ) ..... لوسى يعقوب
١٤ ـ شعرة معاوية وملك بنى أمية ..... عرفات القصبى قارون
١٥ ـ عبد الحليم حافظ ..... مجدى سلامة
١٦ ـ محمد عبد الوهاب ..... مجدى سلامة
١٧ ـ الشخصية السوية ..... يوسف ميخائيل أسعد
١٨ ـ الشخصية المتطورة ..... يوسف ميخائيل أسعد
١٩ ـ الشخصية القيادية ..... يوسف ميخائيل أسعد
٢٠ ـ الشخصية المبدعة ..... يوسف ميخائيل أسعد
٢١ ـ سيكولوجية الهدوء النفسى ..... يوسف ميخائيل أسعد
٢٢ ـ قادة الفكر الفلسفى ..... يوسف ميخائيل أسعد
٢٣ ـ سيكولوجية الفكر ..... يوسف ميخائيل أسعد
٢٤ ـ سيكولوجية العاطفة ..... يوسف ميخائيل أسعد
٢٥ ـ سيكولوجية الإرادة ..... يوسف ميخائيل أسعد

رقم الايداع : ٢٢٦٣

الترقيم الدولى : ٨ / ٠٥٩ / ٢٦٦ / ٩٧٧

أدبيات
تبع الآداب والثقافة المعاصرة

سيكولوجية الفكر

يوسف ميخائيل أسعد

هذا الكتاب يلقى الضوء على معنى الفكر، وعلى أهميته، ثم يعرض للمعوقات التى تحد من نشاطه، ويتناول علاقة الفكر بالإدراك والذاكرة والخيال والذكاء والوجدان، ثم يتناول أثر الإيحاء والتقليد والمهارات الحركية فى نشاط الفكر، كما يتناول أهمية الإمكانات وأثر التراث والتربية فى نموه، ويتناول أخيرًا الدور الذى يضطلع به الفكر فى النشاط الإبداعى.

الناشر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨١٥٥ - ١٨٣٥٥٤٠ ٢٨٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٠